

ديوان بحتري الأندلس

«أبو بكر يحيى بن مجبر»
الموحّدي

جمع، دراسة وشرح
الدكتور يوسف عيد
أستاذ في كلّيّة الآداب الجامعة اللبنانية



دار الفكر العربي
بيروت


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ديـــوان
بحتري الأندلس

«أبو بكر يحيى بن مجبر»
الموحّدي

ديـــوان
بحتري الأندلس

«أبو بكر يحيى بن مجبر»
الموحّدي

جمع، دراسة وشرح
الدكتور يوسف عيد
أستاذ في كلّيّة الآداب الجامعة اللبنانيّة



دار الفكر العربي
بيروت

الطبعة الاولى ٢٠٠٢



دار الفكر العربي
مؤسسة ثقافية للطباعة والنشر

كورنيش سليم سلام - مقابل مخفر المصيطبة
بناية الشروق - الطابق الاول - ص.ب. ٥٠٧٠ / ١٤ - بيروت - لبنان
هاتف: ٣١١١١٤-٠١ / ٣١١١١٥-٠١ - فاكس: ٣١٣٧٣٦ - ١ - ٠٠٩٦١

مــدخــل

تتكوّن لديّ لذة ثقافيّة لا تختصر حين أغرق نفسي في بحوث الشعر الأندلسي. هذا الاعتراف الذي نما في جوارحي بات يتملّكني منذ الدراسات الأولى في المرحلة الثانويّة واتّخذ الطابع التخصّصي في الدراسات العليا.

وفيما كنت أنا فيه كان يتواتر اسم بحتريّ الأندلس تواتراً كثيراً من دون معرفة بأنّ المكتبات العربيّة تفتقر إلى ديوان هذا الشاعر العظيم.

وعبثاً حاولت أن أعثر في بعض زوايا الورّاقين على شيء من هذا فلم أفلح. تولّد فيّ حافر جامح لجمع أشعار «البحتري» من أمّهات الكتب، ودأبت على تحقيق ذلك بسكون وصمت، حتى جاءني يوماً صديق لي كنت أزوره في مكتبه العلمي بكتاب للدكتور محمد زكريا عناني، محاولاً جمع ما تيسّر من شعره، فسرّني كثيراً، ورحت أتصفّحه بنهم علّهُ يرضي فضولي، ويسدّ جوعي الأدبي ويطمئن قلبي، ولا بأس فإنّه قد شكّل مادة مهمّة لعملي.

شاعر الأندلس والمغرب يكاد يكون مجهولاً إلّا عن قلّة من أهل الاختصاص، وسيكون معلوماً على أكثر الباحثين، بعد أن أقدّم لهم هذا العمل بصيغته النهائيّة، وقد تمّت ولادته بعد سنوات من الهمّة والبحث.

سلكت في هذا الكتاب مقدّمة لعصر الشاعر، وإضاءة للحركة الأدبيّة في عصر الموحدين ـ عصر الشاعر ـ ولمحة عن حياته، آملاً أن يأتي يوم آخر يزيد فيه باحث آخر عليه بعض الأشعار التي لم أستطع العثور عليها، فيكمل ما بدأت.

وإنّما الأعمال بالنيات

د. يوسف عيد

قيل في الشاعر:

● «يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن الفهري: كان في وقته شاعر الأندلس، بل شاعر المغرب غير مدافع ولا منازع، يعترف له بذلك الأكابر من أهل

الأدب، وتشهد له بقوة عارضه وسلامة طبعه قصائده التي سارت أمثالاً، وبعدت ـ على قربها ـ منالاً».

ابن الآبار
تكملة الصلة

- «بحتري الأندلس: أبو بكر يحيى بن مجبر».

ابن سعيد
رايات المبرزين

عصر الشاعر:

يعدّ القرن السادس بجملته عصر الموحّدين، على رغم سلطان المرابطين الذي استمرّ طوال الحقبة الأولى من هذا القرن. توالت الهزائم على جيوش المرابطين في شمال أفريقيا، وراحت رقعة ملكهم تنحصر يوماً بعد يوم، أمام القوّة الجديدة التي دخلت التاريخ باسم «الموحّدين»[١] تلك القوّة التي تمتدّ زمنيّاً إلى سنة ٥١٤هـ حينما أعلن زعيمها أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت الهرغي (٤٨٥ ـ ٥٢٤هـ) الثورة على المرابطين في قرية «تينمل»[٢]، وقد كانت حركته أوّل أمرها دينيّة سرعان ما تحوّلت إلى حركة سياسيّة.

قامت الفكرة الموحّديّة على أسس الأمانة الدينيّة ونظريّة المهدي المنتظر[٣]. كان زعيمها ابن تومرت على مذهب أبي الحسن الأشعري في أكثر المسائل سوى مسألة الصفات فإنّه وافق المعتزلة في نفيها، ومسائل قليلة غيرها، وكان يبطن شيئاً من التشيّع لكنّه لا يجهر به أمام العامة. وكان يأخذ في تفسير الشريعة بالمذهب الظاهري فيما يقول به من وجوب الاعتماد في استقاء الأحكام على القرآن والسنّة دون غيرهما[٤]. ويعتبر كتابه «أعزّ ما يطلب» أساس الدولة الموحّديّة[٥] الروحي والسياسي ودستورها الذي حدّد مبادئها وأسسها. كان لشخصيّة ابن تومرت دورٌ

---

(١) المراكشي، المعجب ٢٦٩ «سمّوا الموحدين لأنهم أول من تحدث في التوحيد وعلم الاعتقاد في المغرب العربي».

(٢) «تين ملل» هكذا أوردها صاحب معجم البلدان «ياقوت» وقال عنها: جبال بالمغرب بها قرى ومزارع يسكنها البرابرة، بين أولها ومراكش سرير ملك بني عبد المؤمن اليوم ثلاثة فراسخ، بها كان أول خروج محمد بن تومرت.

(٣) عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام، عصر المرابطين والموحدين ق٢/ ٦١٥.

(٤) نفسه، ق١/ ٢٠٣.

(٥) طبع في الجزائر سنة ١٩٠٢م.

أساسيّ في نجاح المرحلة الموحّديّة وتثبيت دعائم الحكم، لما امتاز به من صبر وزهد وشجاعة وجرأة وعلم، ولما عرف عنه من اصطناع الخوارق المفتعلة من أجل الإيحاء للعوام بكرامات وفضائل مزعومة يستحوذ بها على قلوبهم وعقولهم، كاتّخاذه صفة المهدي التي انتحلها شعاراً لإمامته ورياسته الدينيّة والسياسيّة. ويتّضح أمامنا كيف تحوّلت الحركة الدينيّة إلى حركة سياسيّة تعتمد طريق الكفاح والحرب من أجل التغيير لتنهي حكم المرابطين.

توفّي ابن تومرت سنة ٥٢٤هـ، قبل أن يحقّق أهدافه، فتولّى أمر الثورة بعده تلميذه عبد المؤمن بن علي الكومي (٥٤٢ ـ ٥٥٨) حيث خاض معارك عديدة ضدّ المرابطين انتصر في معظمها حتى تمكّن أخيراً من دخول مراكش فاتحاً سنة ٥٤٢هـ[١]، فقتل أميرها إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين (٥٤٠ ـ ٥٤٢هـ) قاضياً بذلك على آخر معقل للمرابطين.

كانت الأندلس تعيش حالة تفرقة وتمزّق بين ثلاثة اتجاهات: اتّجاه يتمسّك بالمرابطين ويمثّله يحيى بن غانيّة القائد العامّ لقوّات المرابطين وأخوه محمد. واتّجاه ثان يدعو إلى تحرير الأندلس كلّها من حكم البرابرة، ويسعى إلى إعادة وحدتها. واتّجاه ثالث يدعو إلى الاستعانة بالموحّدين لتخليص البلاد من الملثّمين والنصارى الذين بدأت قبضتهم تشتدّ على خصومهم. وكان قد دعا إلى ذلك سعد بن مردنيش فلم يجد من يتحمّس لنصرة دعوته بدءاً.

أوّل جيش موحّدي دخل الأندلس نحو ٥٤٠هـ. واستطاع هذا الجيش أن يخضع إشبيليّة سنة ٥٤١هـ. وتوالت استجابة العديد من المدن الأخرى لحركة الموحّدين بما في ذلك قرطبة التي اضطرّ أميرها المرابطي يحيى بن غانية إلى التخلّي عنها للموحّدين بعد أن اشتدّت عليه مطالب الفونسو السابع، ملك قشتاله. وتمكّن الموحدون من انتزاع مدينة المريّة من أيدي الغربيين بعد أن بقيت تحت سيطرتهم زهاء عشرة أعوام، وانضوت غرناطة أخيراً تحت حكم الملك الموحّدي عبد المؤمن. وما استعصى عليه فيتمثل بمرسيّة التي كانت خاضعة لأبي عبد الله محمّد بن سعد بن مَرْدنيش الملقّب بـ«صاحب شرق الأندلس»[٢].

---

(١) ابن الأثير، الكامل ٨/ ٢٩٩

(٢) تملك ابن مردنيش شرق الأندلس (مرسيّة وبلنسيّة) سنة ٥٤٢هـ، وحمل الدعوة لفكرة استقلال الأندلس عن المغرب، ومن ثم تصدى لمحاولات الموحدين الرامية لضم شرق الأندلس لأمبراطوريتهم، وأخذ عليه تحالفه مع القشتاليين، وكان من مؤازريه ابن همشك الذي تغلب على شقورة، واستطاع ابن مردنيش أن يحافظ على استقلاله حتى وفاته ٥٦٧هـ =

استظلّت الأندلس تقريباً تحت رايات الموحّدين، في عهد عبد المؤمن بن علي، فلمّا توفّي سنة ٥٥٨هـ خلفه في الحكم ابنه أبو يعقوب يوسف (٥٥٨ ـ ٥٨٠)، وكان حسن السيرة، عادلاً متحرياً الحقّ في الحكم، يباشر أمور بلاده بنفسه بعزم وحرص شديدين[١]. كثرت الأموال في أيّامه، وصلح أمر الناس، هذا إلى جانب كونه أديباً حافظاً لأيّام العرب وأخبارها ميّالاً إلى الحكمة والفلسفة. لمعت في أيامه أشهر الأسماء الفلسفيّة في تاريخ الحضارة العربيّة كابن رشد وابن طفيل وغيرهما. ومن الشعراء أسماء كبيرة كابن مجبر (بحتري الأندلس) وغيره. وفي أيّامه نشطت حركة العمران، وازدهرت آفاق الفنّ والعلم.

كانت نهاية هذا الملك في حملة ضدّ الإفرنج ترأس قيادة جيشها سنة ٥٨٠هـ، حيث قام بغزو شنترين، وبعد حصار طويل للمدينة وفي ظروف غامضة توفي أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن[٢]. وخلفه أبو يوسف الملقّب بالمنصور (٥٨٠ ـ ٥٩٥هـ) حيث بدأت المملكة الموحّديّة تمرّ في مرحلة جديدة سياسيّاً وعقائديّاً وفكريّاً واجتماعيّاً.

فالمنصور لم ير في ابن تومرت ما رآه الموحّدون، كما أنّه تبرّأ من نظريّة العصمة ومسألة الإمام المنتظر. وهذا يعتبر بصراحة خروج على تعليم المؤسّس؛ ولم يكتف برفضه بل راح يجاهر بالظاهريّة وقد جعلها المذهب الرسمي للدولة وطارد علم الفروع وأمر بإحراق كتب المذهب كمدوّنة سحنون وكتاب ابن يونس وغيرهما. كان مقصده من كلّ ذلك محو مذهب مالك وإزالته من المغرب والأندلس، ويعتبر هذا ثورة أخرى على قيم السلف وتقاليدهم المذهبيّة والفكريّة[٣]. من أجل ذلك ازدهر علم الحديث وحظي طلّابه بالرعاية والتشجيع. كما أنّه نشط بملاحقة المفسرين وألقى القبض على بعض المغنّين فاختفى كثيراً القيان. كما منع صنع الثياب الحريريّة الغالية. فنفخت على الدولة الموحّديّة رياح الاقتصاد والتقشّف، واعتبر ذلك انقلاب آخر في الحياة العامة حيث ساد التزمّت والسحق للكثير من مظاهر الحضارة والرقيّ، وتحديداً الحريّة الاجتماعيّة والفكريّة. غير أنّ ذلك كان يعدّ في نظر العامّة من الناس، تقوى

= فخضعت مرسيّة لسيطرة الموحدين، عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢.
ـ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر ٦/ ١٩٠.

(١) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ٢/ ١٧٤.
(٢) المراكشي، المعجب ٣٣٠ وما بعدها.
(٣) نفسه، ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

وعبادة وتديّناً ممّا جعلها متمسّكة بالخليفة منزلة إيّاه منزلة الأولياء. فحاكت حوله الأساطير، ونسجت القصص[١].

يعتبر هذا الملك من أعظم ملوك الأندلس بسيرته وأعماله وحروبه؛ فهو صاحب موقعة «الأرك»[٢] (سنة ٥٩١هـ) فكان لقوته أصداء عالية حاول أن يستنجد بها صلاح الدين الأيّوبي في أثناء قتاله حول «عكا» سنة ٥٨٥هـ[٣]. وقيل إنه في الوقت نفسه، كان على رأس جيش ضخم في حملة لاسترجاع مدينة شلب[٤]. وبموت أبي يوسف سنة ٥٩٥هـ راحت دولة الموحّدين بالاضمحلال خصوصاً بعد معركة «العقاب» (٦٠٩هـ) التي انهزم فيها المسلمون انهزاماً كبيراً، لم تقم بعدها للأندلس قائمة. فقد تردّت الأوضاع وصارت المناصب الإداريّة سلعاً تباع وتشترى. ويمكن إجمال تاريخ الأمراء أو الخلفاء الموحدين على النحو التالي:

٥١٥هـ: المهدي بن تومرت.

٥٢٤هـ: عبد المؤمن بن علي.

٥٥٨هـ: أبو يعقوب يوسف (الأول).

٥٨٠هـ: أبو يوسف يعقوب (المنصور).

٥٩٥هـ: محمد الناصر لدين الله.

٦١٠هـ: أبو يعقوب يوسف الثاني (المستنصر بالله).

٦٢٠هـ: أبو محمد عبد الواحد (المخلوع).

٦٢١هـ: أبو محمد عبد الله (العادل).

٦٢٤هـ: المأمون.

٦٣٠هـ: أبو محمد عبد الواحد (الرشيد).

٦٤٠هـ: أبو الحسن علي السعيد (المقتدر بالله).

٦٤٦هـ: أبو حفص عمر (المرتضى).

٦٦٥هـ: أبو العلا (الواثق بالله) ـ آخر ملوكهم.

---

(١) النفح ٤/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣.

(٢) سببها أن الفونسو الثالث ملك قشتالة مات في بلاد الأندلس وأرسل إلى الخليفة يهدّده، فتجهّز له المنصور بجيش ضخم وجاز البحر قاصداً إيّاه ودارت بينهما معركة طاحنة انتصر فيه المسلمون انتصاراً كبيراً (النفح ٤/ ٣٨٢).

(٣) المراكشي، المعجب ٣٥٦ (النفح ١/ ٤٤٤).

(٤) نفسه، ٣٥٦ أظن أن الخبر السابق مغلوط.

حالة الحركة
الثقافيّة في عهد الموحّدين

لاقت النشاطات الفكريّة والعلميّة والأدبيّة والاجتماعيّة واللغويّة حرّيّة أكثر ممّا لاقته في عهد المرابطين. إذ يعود أساساً إلى ثقافة القادة وتنوّرهم بالعلوم كافّة. أنشأ الموحّدون المدارس العلميّة التي راح يتلقّى فيها الطلبة مختلف المعارف الشائعة في ذلك العصر، خصوصاً تعاليم الإمام المهدي وما يتّصل بالدعوة الموحّديّة. وقد خضعت هذه المعاهد التعليميّة إلى برامج وامتحانات دوريّة شبيهة بأنظمة مدارسنا الحاليّة[1].

وكادت الحرّيّة الفكريّة والنّشاط العلمي يطغى على العصر كلّه لولا فترات لقي فيها الفلاسفة اضطهاداً من الحكّام، كالذي فعله أبو يوسف يعقوب (٥٨٠ ـ ٥٩٥هـ) بالفيلسوف ابن رشد. وما فعله أبو العلاء إدريس المأمون (٦٢٤ ـ ٦٢٩هـ) بابن حبيب القصري الذي طارده أبو العلاء واتّهمه بالزندقة حتى أعدم[2].

وقد امتاز هذا العهد بسعة الأفق وبازدهار جميع النشاطات الفكريّة بعد أن لمعت أسماء بارزة لا سيما في الفلسفة كابن رشد وابن طفيل.

ويمكن تصنيف الإنتاج الفكري إلى علوم دينيّة ولغويّة وأدبيّة وفلسفيّة وعمليّة. سنعرض لها باختصار لاستيضاء مرحلة شاعرنا (بحتري الأندلس).

١ ـ العلوم الدينيّة:

نمت وازدهرت حتّى بلغت ذروتها لما لقيته من إقبال وتشجيع من المسؤولين. فدولة المرابطين قامت على نظريّة الجهاد متمسّكة بالمذهب المالكي[3]. وتحصل للفقهاء وللقضاء مكانة عالية. وفي أيّام الموحّدين تراجع

---

(١) المراكشي، المعجب، ٢٩٦، الركابي، في الأدب الأندلسي، دار المعارف، مصر، ٥٧/ ط١٩٦٦.

(٢) ابن سعيد المغرب ١/٢٩٦.

(٣) المراكشي، المعجب، ٢٣٦.

سلطان الفقهاء لبعد السلطة عن علم الفروع واهتمامها بظاهر النصوص من قرآن وحديث، فازدهرت طبقة من الصالحين البتولين. ومهما يكن من أمر فالدولتان قامتا على نظريّة دينيّة وإن اختلفت الأولى عن الثانية في المسلك والمنهج، غير أنّهما التقيا في الجهاد ونشر الدعوة الإسلاميّة والعناية بتعاليم الشريعة. فهيمن جوّ دينيّ أفرخ حركة قويّة في مجالات الفقه والحديث والزهد والتصوّف. وكثر المشتغلون بهذه العلوم، وامتلأت المكتبات بتراجم وسير، نذكر منها: «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك»[1]. للقاضي عياض (ت ٥٤٤هـ)، وكتاب «الديباج المذهّب» لابن فرحون (ت ٧٩٩هـ)، وكتاب «توشيح الديباج وحلية الابتهاج»[2] لبدر الدين محمد بن يحيى القرافي (ت ١٠٠٩هـ)، وكتاب «نيل الابتهاج بتطريز الديباج»[3] لأحمد بابا التكروري (ت ١٠٣٦هـ)، وكتاب الصلة لابن بشكوال (ت ٥٧٨هـ)، وبغية الملتمس للضبي (ت٥٩٩هـ)، وتكملة الصلة لابن الأبار (ت ٦٥٨هـ)، والذيل والتكملة لعبد الملك المراكشي (ت٧٠٣هـ)[4] وغيرها.

في هذا المناخ كان الناس لا يجدون إلّا الثقافة الدينيّة التي تغذي عقولهم وتدفعهم نحو تكريم أهل التصوّف والعبادة والورع؛ فبرز علماء كبار في الفقه والحديث والتفسير وعلم الكلام والزهد والتصوف، أمثال: الصنهاجي المعروف بابن العريف (ت ٥٣٦هـ). وابن العربي (أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد) ت ٥٤٣هـ. وأبو محمد عبد الحق بن عبد الله الأزدي الإشبيلي المعروف بابن الخراط (ت ٥٨١هـ) وغيرهم كثير[5].

٢ ـ العلوم اللغويّة والنحويّة:

تعتبر هذه العلوم أساس كلّ علم وبحث. في إتقانها يستقيم اللسان وتفهم المسائل الدينيّة والفقهيّة والأدبيّة وتتّضح الآيات والأحاديث، لذا وجدنا علماء كثيرين يهتمّون بها ويؤلّفون وينتجون آراء واجتهادات. واللافت في عصر الموحّدين هو ظهور أعلام كبار في النحو. فآراء ابن مُضاء القرطبي (٥٩٢هـ) لا

---

(١) المراكشي، المعجب، ٢٣٦، طبع في بيروت سنة ١٣٨٤هـ. تحقيق أحمد بكير محمود.
(٢) مخطوطة في معهد المخطوطات في المغرب تحت رقم ١٥٤٧.
(٣) حققه السيد ناطق صالح مطلوب ـ لنيل شهادة الماجستير (جامعة عين شمس) ١٩٧٣.
(٤) كتب محقّقة من دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري بعنوان الخزانة الأندلسيّة.
(٥) انظر ترجمتهم في: الكتبي، فوات الوفيات ٥١٨/١، النفح ١١٧/٤، ٣١٥.

تزال تشغل الدارسين المتخصّصين. كما برز في أواخر العصر أقطاب عظماء لهم مكانتهم المرموقة في مراتب النحويين في المشرق والمغرب، ولهم مؤلفات قيّمة في هذا المجال، من أمثالهم: أبو محمد بن محمد بن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ). وابن مضاء (أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن محمد القرطبي) (ت ٥٩٢هـ). وابن خروف (أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف) (ت ٦٠٩هـ). والشلوبيني (أبو علي عمر بن محمد بن عمر الإشبيلي). ت ٦٤٥هـ وغيرهم[١].

٣ ـ العلوم الأدبيّة:

ازدهرت حركة التأليف الأدبي في هذا العصر ازدهاراً مطرداً وتنوّعت ميادين الفنّ من نقد ونثر وشعر وسير ومقامات وتاريخ ورحلات... غير أنّ الشعر فقد بعض وهجه وحرارته في أواخر عصر الموحّدين ما خلا شعر المراثي والحسرات[٢]. وذكر أعلام مبرّزين في هذا الفن كافياً لإعطاء الحركة الأدبيّة سعة أفق. من هؤلاء: ابن خاقان (أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان الإشبيلي المتوفّى سنة ٥٢٩هـ). وابن بسام (أبو الحسن علي بن بسّام التغلبي الشنتريني المتوفّى سنة ٥٤٢هـ)[٣]. وابن أبي الخصال السرقسطي (أبو عبد الله)[٤] صاحب المقامات اللزوميّة من عصر المرابطين. وأبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال المتوفّى سنة ٥٧٨هـ. وأبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي المتوفّى سنة ٥٩٨هـ. وابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي الأندلسي المتوفّى ٦٥٨هـ. وأبو الحسن علي بن سعيد المغربي المتوفّى سنة ٦٨٥هـ[٥]. كلّ هؤلاء من عصر الموحّدين.

٤ ـ العلوم الفلسفيّة:

خفت صوت الفكر الفلسفي في أيّام الموحّدين وأعطيت الحريّة للنشاطات الفكرية الأخرى. أخذ الاتّجاه الظاهري يبرز شيئاً فشيئاً، واختفى علم الفروع

---

(١) انظر ترجمتهم في: إنباه الرواة، ٢/ ١٤١. ومعجم الحضارة الأندلسيّة، فصل اللغويين.
(٢) انظر كتابنا صورة الهزيمة في الشعر الأندلسي.
(٣) انظر أخبار هؤلاء في: الحموي، معجم الأدباء ١٢/ ٢٧٥. ابن سعيد، المغرب ١/ ٢٠٦. كشف الظنون ٨٢٥ المقري، النفح ٣/ ١٨٢. ابن خاقان، القلائد ١٨٢. الضبّي، البغية ٢٨٢.
(٤) ابن سعيد، المغرب ٢/ ١٧٢. السيوطي، بغية الوعاة ٣٥٧. النفح: ١/ ٦٩٣.
(٥) ابن خلكان، الوفيات ٣/ ١٢١.

وضعف بذلك سلطان الفقهاء وحدّ من هيمنتهم وجبروتهم، فتقيّدوا في أحكامهم وفتاويهم بنصوص الكتاب والسنّة دون تقليد أو اتباع، فكان ذلك مدعاة لنشاط الاجتهاد والتوسّع فيه، وإعطاء العقل كامل وظيفته. احتفل العصر بأهم فيلسوفين عرفهما تاريخ الفكر الإسلامي ابن طفيل وابن رشد، ومع كلّ هذا الانفتاح الفلسفيّ من قبل الحكّام والسلاطين لم يكن الفلاسفة يأمنون جانب العامّة والجهّال من الناس ومن ورائهم الفقهاء الذين لا يفتأون يحرّضون العوام عليهم؛ لذلك حاول الفلاسفة حجب آرائهم ومؤلّفاتهم لأنهم يدركون مقدار كراهيّة العامة لأصحابها: ويزداد موقف الفلاسفة خطورة حينما يتخلّى عنهم المسؤولون والحكام، ويقول ابن رشد عن نفسه: «أعظم ما طرأ عليّ في النكبة أنّي دخلت وولدي عبد الله مسجداً بقرطبة، وقد حانت صلاة العصر، فثار علينا بعض سفلة العامّة فأخرجونا منه»[١].

والحملة على الفلاسفة تخطّت العامّة إلى أهل الثقافة. فابن جبير الرّحالة الشهير يشنّ حملة عنيفة ضدّ الفلسفة والفلاسفة ويتهمهم أيضاً بالضلال والخروج عن الدين، برغم ذلك كلّه أثبت العقل الفلسفي في الأندلس قوّته وحدّد ملامحه وشخصيّته، وأعطى للحضارة الإنسانيّة رجالاً تفتخر بهم وتزدهي بإنتاجهم. ومن الذين برزوا في عصر الموحّدين ابن طفيل (أبو بكر محمد بن عبد الملك المتوفّى سنة ٥٨١هـ) وابن رشد (أبو الوليد محمد بن أحمد، المتوفّى سنة ٥٩٥هـ) شيخ أئمّة الفلسفة في الأندلس[٢].

٥ ـ العلوم العلميّة:

بلغت النهضة العلميّة ذروتها أيام الموحّدين لما حظيت من اهتمام السلطة بذلك، وعنايتها برجاله، لا سيما الأطبّاء. وكثرت في عهدهم المستشفيات للمرضى وذويْ العاهات والعمى والضعفاء. كما شجّعوا دراسة علوم الفلك والنجوم، وابتنوا لذلك الراصد والأبراج، ويعتبر مرصد إشبيليه الذي بناه يوسف المنصور سنة ٥٩٢هـ أوّل مرصد في أوروبا[٣].

من الذين برزوا في حقل الطبّ محمد بن أحمد بن عامر البلوي الطرطوشي (ت ٥٥٩هـ)، وأبو العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر المتوفى سنة ٥٢٥هـ، وحفيده أبو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن زهر شيخ الطب (ت

(١) أحمد أمين، ظهر الإسلام ٣/٢٤٨.
(٢) المراكشي، المعجب ٣٨٤. ابن الأبار، التكملة ٢/ ٥٥٣. ابن سعيد، المغرب ١/ ١٠٤.
(٣) أشباخ، تاريخ الأندلس ٤٩٥.

٥٩٥هـ)[١]. وفي علم النبات ومعرفة الأعشاب برز (أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي الخليل الأموي المعروف بالعشّاب وبابن الروميّة، المتوفى سنة ٦٣٧هـ). وتلميذه ابن البيطار (ضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقي المتوفى سنة ٦٤٦هـ)[٢]. ونبغ في علم الرياضيات علي بن خلف بن غالب الأنصاري الشّلبي المتوفّى بما يقارب سنة ٥٦٥هـ[٣].

---

(١) التكملة ٢/ ٥٥٥. الوفيات ٤/ ٦١. المغرب ١/ ٢٧١. عيون الأنباء ٢/ ٦٧.

(٢) التكملة ١/ ١٢١، الذيل والتكملة ١/ ٤٨٧. النفح: ٢/ ٥٩٦.

(٣) صلة الصلة: ٩٩.

لمحة عن حال
الشعر في عصر الشاعر

١ ـ فنّ المدح والوصف:

بعد أن استتبّ الأمر للموحّدين تبدّلت الصورة وتغيّرت العلاقة القائمة بين الشعراء والحكّام؛ فزعماء الموحّدين عرفوا بثقافاتهم المتنوّعة لا سيّما في اللغة العربيّة وآدابها. ابن تومرت مؤسس الدولة الموحدّيّة، كان تلميذاً للغزالي حيث قضى معظم أيّامه يتلقّى العلوم الدينيّة واللسانيّة ويعلّمها لتلاميذه فيما بعد، وله مؤلف قيّم في موضوعه بعنوان «أعز ما يطلب»[1]، وكانت له مواقف مؤيّدة للشعر والشعراء. وعندما اجتاز إلى الأندلس اجتمع لديه وجوه البلاد فاستدعى الشعراء ليسمع منهم المدائح. وكان ممن أنشده الرصافي البلنسي وغيره. ولم يكتف بالاستماع بل كانت له ملاحظات ذوقيّة ونقديّة في معرفة الشعر[2]. ولم يكن أولاده بأقلّ منه اهتماماً بالشعراء. وبرز منهم حفيده يعقوب المنصور الذي تناقلت الكتب أخباره الكثيرة عن علاقته بالشعراء وتقديره لهم. فعند انتصاره في موقعة الأرك عام (٥٩١هـ) اجتمعت لديه قصائد كثيرة قدّرت بالمئات[3].

هذه العلاقة الطيّبة بين الخلفاء والشعراء دفعت هؤلاء إلى التجويد في القول لأنهم يدركون مقدار ثقافة الحاكم ورهافة حسّه ودقّة ملاحظته ونقده. غير أنّ هذا الأمر لم يدم، فقد تبدّلت الحال بعد خلافة محمّد الناصر (٦١٠هـ)، وتخاذل موقف الشاعر المادح نظراً لتبدّل الظروف واضطراب الأحوال، ونتيجة لغدر الحكّام ببعض الشعراء. فبينما يكون الشاعر مقرّباً من الحاكم وصديقاً له، نراه معلّقاً مشنوقاً بليلة ليلاء؛ أو يغدو مديحه لعنة تطارده في البلاد. ففضّل الشعراء الانزواء أو الهروب أو البعد عن المسرح السياسي.

---

(١) طبع في الجزائر سنة ١٩٠٣.

(٢) رايات المبرزين ١٩.

(٣) النفح، ٤/ ١٧٢.

لقد أثّر هذا الوضع على الجوانب الفنيّة في القصيدة فأصابها ضعف وتكلّف وسطحيّة وتدهور، بخلاف ما نلمسه في غير عصر حين تشتدّ الكوارث كان الشعر هويّتها وصوتها كالذي حصل أواخر خلافة الأمويين. لقد أهمل الشعراء في العصر الموحّدي تلك المقدّمات المعروفة في العصر المرابطي. ولم نعد نرى الفلسفة والحكمة والرثاء ووصف المعارك والمنفى وتصوير رحلة البحر ضمن قصيدة المدح أو في مطلعها.. واستحدث فنّ الاستصراخ والجهاد. وكان قلّما يأتي هذا الفنّ مدخلاً للمدحة؛ إنّما غلب مجيئها ممزوجاً بمعاني البطولة والشجاعة والنخوة. ولنا في ديوان ابن مجبر الأندلسي دلائل. ونشير إلى أبيات أبي المطرف محمد بن أحمد المخزومي حين راح يستصرخ أمير المؤمنين الموحّدي عند حصار مدينة (شقر) من قبل أبي عبد الله محمّد بن سعد سنة ٥٦٦هـ) بقوله:

تـدارَكْ أمـيـرَ الـمـؤمـنـيـن دمـاءنـا ... فـإنّـك لـلإسـلام والـديـن نـاصـرُ
ووجّـه إلـى اسـتـنـقـاذنـا بـكـتـيـبـة ... يـهـاب الردى منها العدو المحاصرُ

ويقول هاجياً ابن سعد ومادحاً الخليفة:

فـلـيـت ابـن سـعـد إذ تـألـف مـا نـعـت ... فـلـم تـتـمـخّـضْ عـن قـواه الـعـنـاصـرُ
سـتـذهـب أنـوار الـخـلافـة ظـلـمـه ... وتـلـفـظـه بـعـد الـخـيـول الـمـقـاصـرُ
فـهـذا الـذي يـبـنـي الـمـسـاجـد أمـره ... وأمـر ابـن سـعـد أن تـشـاد الـمـعـاصـرُ
بـقـيـت أمـيـر الـمـؤمـنـيـن مـخـلّـداً ... وكل الورى عن كنه وصفك قاصرُ[1]

فالنجدة والعون من معاني المديح. لكنّ الجديد فيها أنّها تأكّدت في هذه المرحلة وباتت بشكل واضح حين أضحت أساساً لأشعار المدح. وتميّزت القصيدة المدحيّة بالروح المتديّنة المتّسمة بالروح التومرتيّة وتعاليمها التي كانت تبطّن شيئاً من التشيّع[2]، فضلاً عن تغذية المعاني بصور مستوحاة من قصّة موسى (النبي). وتجلّت نزعة المبالغة بغلوّ في التركيز على صفات الممدوح بحيث تحاول إخراجه عن البشر العاديّين وتجعله شيئاً آخر مقدّساً منزّهاً، شبيهاً بالأنبياء والمرسلين، يسيّر الأقدار ويتحكّم بالقضاء. ومثالاً على ذلك قول الرصافي في ابن همشك:

احـلـك الـ ـرفـيـع والـتـعـظـيـم ... ولـوجـهـكَ الـتـقـديـس والـتـكـريـم

(١) الحلة السيراء ٢/ ٢٦٩.
(٢) المراكشي، المعجب ٢٥٥.

ولـراحـتـيـك الـحـمـد فـي أرزاقـنـا والـرزق أجـمـع مـنـهـمـا مـقـسـوم(١)

والرصافي يكرّر هذا الأسلوب في غير قصيدة. وشاعرنا ابن مجبر له وقفات طويلة في هذا الشأن يحاكي بها ابن هانئ الأندلسي شاعر الغلوّ في المرحلة العربيّة الأولى. فممدوحه معظّم، أقرب إلى النبوّة إن لم يكن نبيّاً، والشعر لا يبلغ صفاته ولا يحيط بمآثره. وتتجلّى الروح التومرتيّة في مدح عبد المؤمن حين شبّهه بجبل الفتح للرصافي:

لو جئت نار الهدى من جانب الطور قبست ما شئت من علم ومن نور(٢)

أما استرفاد المعاني الدينيّة فكانت محور القصائد المدحيّة الموحّديّة. أولى هذه القصائد ألقيت في جبل الفتح ترحيباً بعبور عبد المؤمن بن علي إلى الأندلس لأوّل مرّة. وقد ربط الشاعر هذه المدائح بين موسى وعبد المؤمن. وكأنّه اتخذ الشاعر من عبد المؤمن رمزاً للإنقاذ والخلاص كما هي حال موسى مع بني إسرائيل. فالصورتان موسى وعبوره ومعاناته، وعبد المؤمن وعبوره ومعاناته، أيضاً تلتقيان في مفهوم الجهاد من أجل غاية ساميّة، والسعي بكفاح شاقّ في سبيل هدف مقدّس، ويتحقّق هذا التشابه في أكثر من قصيدة. يقول الأصم المرواني في جبل الفتح مخاطباً عبد المؤمن:

وطـود طـارق قـد حـلّ الإمـام بـه كـالـطور كان لـموسى أيـمن الـرتـب

لـو يـعـرف الـطـود مـا غـشـاه مـن كـرم لم يبسط النور فيه الكف للسحب(٣)

وقال الرصافي مشبّهاً ابن تومرت وتلميذه عبد المؤمن بموسى وفتاه يوشع ذاكراً جبل الطور والنار الواردة في قصة موسى:

لو جئت نار الهدى من جانب الطور قبست ما شئت من علم ومن نور(٤)

والقصيدة طويلة فيها استرفاد واتكاء على قصة موسى ومعانيها كقوله:

فالبحر قد عاد من ضرب العصا يبسا والأرض قد غرقت من فور تـنـور(٥)

فالعصا التي حوّلت الأرض يباساً ليست إلّا عصا موسى نفسها. وترددت في

---

(١) الديوان ١٣١.
(٢) نفسه ٧٧.
(٣) النفح، ٣/ ٥٩٢.
(٤) ديوانه: ٧٧.
(٥) نفسه.

مدائح الموحّدين معاني التفاخر بالأنساب العربيّة. فالموحّدون يرفعون أنسابهم إلى قيس عيلان بن مضر[١]. وبذلك مدحهم الشعراء ووجدوا غذاء واضحاً لمعاني قصائدهم. واللافت استخدام الشعراء في هذه المرحلة وزن «الخبب» في مقطّعات المديح. لكنّ المنهج القديم لشعر المديح العربي ظلّ طاغياً وأدخل عليه فنّ الاستصراخ والنجدة والجهاد.

وعرف ابن الأبار في هذا العصر بوصف الطبيعة مبدعاً أو محاكياً. له مقطّعات وقصائد عديدة نعالج مشاهد مستوحاة من بيئة الأندلس كقوله:

سقياً لروض ردته رأد الضحى ... وحمامه طرباً يناغي البلبلا
شتى محاسنه، فمن زهر على ... نهر يسيل كالحباب تسلسلا
وكأنما حمي الربيع تعطفه ... واستلّ منه، يذود عنه منصلا
غربت به شمس الظهيرة لاتني ... إحراق صفحته لهيباً مشعلا
حتى كساه الروح من أفيائه ... برداً تمزّق بالأصائل هلهلا
وكأنما لمع الظلال بمتنه ... قطع الدماء جمدن حين تخللا[٢]

هذه المعاني الوصفيّة مكرّرة. فابن الأبار لم يأت بجديد، فإعطاء النهر صورة السيف معنى قديم وامتداد الفيء معنى أولع به الشعراء الأقدمون. لكنّ الجديد صورة بقع جامدة من بقايا دماء، وكأنّه يحاكي صورة المتنبّي في قوله:

وألقى الشرق منها في ثيابي ... دنانيراً تفرّ من البنان[٣]

ولكن صورة المتنبي أروع وأجود من صورة ابن الأبار.

وربما أخذ النهر في شعر الموحّدين صوراً جديدة. كما صوّره أبو جعفر أحمد بن شطريّة بالفرس الجموح المتدرّع بالزرد:

انظر إلى النهر الذي ... لا ينقضي خفقانه
أمواجه في دوحة ... ماجت بها أشجانه
حرصت به في ملعب ... مترادف فرسانه
أمسى جموحاً إذ غدا ... بين النسيم عنانه

(١) المعجب. ٢٦٥.
(٢) المقري، أزهار الرياض ٣/ ٢٢٣.
(٣) الديوان، قافية النون.

قــد درعـــتـــه الـــريـــح إذ طـــعـــنـــت بـــه أغـــصـــانـــه[1]

وهي صورة لا تخلو من حيويّة وتشخيص.

ويرى أبو بحر بن إدريس في النهر بقايا الدموع التي ذرفتها أجفان الضفاف:

وفـي جـر فـي روض هـنـاك تـجـافـيـا بـنـهـرٍ يـودّ الأفـق لـوزاره فـجـرا
كـأنّـهـمـا خـلّا صـفـاء تـعـاتـبـا وقـد بـكـيـا مـن رقّـة ذلـك الـنـهـرا[2]

والملاحظ أن تصوّر نهر الدموع قد أعطى انعكاساً لحالة نفسيّة كئيبة عاشها الشاعر في أثناء معاناة القريض، فتفلّتت إيماءات حزينة وتسلّلت إلى قصيدته الوصفيّة.

ويصوّر شاعر آخر من الفيء المنبسط على الماء كحلاً يجمّل به جفن النهر ليزيد من فتنته وسحره كقول أبي جعفر أحمد بن طلحة (ت ٦٣٢هـ) في هذا المعنى:

وخـدّ الـروض خـفـره أصـيـل وجـفـن الـنـهـر كـحـل بـالـظـلال[3]

أمّا وصف النار فلم يجد شعراء زادوا به وتفتّنوا، وقد ذكرها أبو جعفر بن سعيد وأبو الربيع سليمان بن أحمد العبدري (٥٨٦هـ) وغيرهما.

وممّا ذكره العبدري مركّزاً على المنظر الخارجي للنار والرماد:

ولـقـد نـعـمـت بـنـار فـحـم أصـبـحـت تـخـتـال بـيـن مـعـصـفـر ومـورد
إلّا بـقـايـا كـالـدجـى مـسـودة أو مـثـل أصـداغ الـعـذارى الـخـرد
فـكـأنـمـا يـبـدو لـعـيـنـي مـنـهـمـا حـبـر أريـق عـلـى سـبـائـك عـسـجـد[4]

وبرزت ظاهرة الاهتمام بوصف الدواليب كقول الرصافي البلنسي:

وذي حـنـيـن يـكـاد سـجْـوا يـخـتـلـس الأنـفـس اخـتـلاسـا
إذا غـدا لـلـريـاض جـارا قـال لـهـا الـمـحـل: لا مـسـاسـا
تـبـسّـم الـزهـر حـيـن يـبـكـي بـأدمـع مـا رأيـن بـاسـا
مـن كـلّ جـفـن يـسـلّ سـيـفـاً صـار لـهـا غـمـده رئـاسـا[5]

---

(١) ابن سعيد، المغرب ١/ ١٤٠.
(٢) النفح ٥/ ٦٤.
(٣) المغرب ٢/ ٣٦٥.
(٤) ابن الأبار: المقتضب ١/ ١٣١.
(٥) الديوان، ١٠٢.

والشاعر الأندلسي لم يقف عند الشكل المرئيّ للدولاب ولا عند هيكله ومظهره وإنّما أثارته أشياء أخرى فيه، كالصوت والحركة وجريان الماء.

وتوسّعت رؤياه فانسحبت على الرياض والأزهار والترابط بينها وبين الدولاب كالعلاقة بين السحاب والرياض.

ونالت الخيول اهتماماً واسعاً في الوصف، إذ راح الشاعر كعادته يتفاخر بقوّتها وسرعتها وأصالتها لما تفجّر لديه من رموز ومعان يتشبث بها ويعتزّ كالبطولة والرجولة والشجاعة والفروسيّة. وهذا ليس وليد اهتمام الأندلسيين وحدهم أو إبداع مخيّلة الموحّدين بصورة خاصة، بل هو تواصل لما كان عند العرب من الجاهليّة حتّى يومنا. ولكن تجدّد العناية والتفاخر والتعشُّق لهذه المعاني دليل حبّهم لهذه الأوصاف وما تمثّل. فقد تبارى الشعراء في هذا العهد بالاستغراق في أوصاف الخيول كقول شاعرنا أبي بكر بن مجبر في وصف خيل المنصور خليفة الموحّدين(١). أو ما قام به أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي حين قال:

ولكم سرينا في متون ضوامر	تثنى أعنقها من الخيلاء
من أدهم كالليل حجل بالضحى	فتشقّ غرّته عن ابن ذكاء
أو أشهب يحكى غدائر أشيب	خلعت عليه الشهب فضل رداء
أو أشقر قد نمقته بشعلة	كالمزج ثار بصفحة الصهباء
أو أصفر قد زينته غرّة	حتى بدا كالشمعة الصفراء(٢)

هذه القطعة الشعريّة هي عرض لخيول مختلفة الألوان والأصباغ حاول الشاعر جاهداً تركيب أسمائها للتفاخر بأنواع الخيول كأنّه يقصد أنّ لكلّ خيل خصائصه أو مميّزاته يتفرّد بها عن غيره من الخيول.

وهذا الأسلوب المصنّع ليس جديداً في عصر الموحّدين بل وقعنا عليه في مرحلة ملوك الطوائف حيث كان الشاعر يلجأ إلى التنويع في أسماء ونعوت خيل الحاكم لكسب عطفه وحسن وفادته.

٢ ـ فنّ الغزل بنوعيه: الأنثوي والغلماني:

دام فنّ الغزل في المرحلة الموحّديّة على حاله يخضع لتقاليد الشعر العربي

---

(١) انظر الديوان.
(٢) النفح ٢/ ٢٦٥.

المعروفة منذ الجاهليّة. غير أنّ الشاعر الموحّدي الأندلسي استطاع أن ينتقل فيه إلى وضع وأسلوب جديدين تحقّق فيهما شيء كثير من الوضوح والبروز في ملامح القصيدة الغزليّة، كالاستقلاليّة ووحدة الجوّ النفسي الذي تخضع له التجربة الشعريّة والصدق في تصوير المشاعر الوجدانيّة، واتخاذ بعض الغزليّات سمة الأقصوصة الشعريّة. وظلّت قصيدة الغزل تدور حول محورين رئيسين هما المرأة والغلام متّخذين اتّجاهين منفصلين، العفيف والحسّي. فالأوّل يتّسم بنوع من التسامي الروحي بعواطف منزّهة والثاني يفحش ويغرق بأوصاف جسديّة. والجديد أنّ اللون العذري لا يمكن وصف صاحبه بالعذري وإن اصطنع العفّة والترفّع؛ فهو ازدواجي يظهر عفّة حيناً ونراه في موضع آخر يظهر فحشاً إضافة إلى كونه عشيقاً لأكثر من حبيبة. هذا اللون الشعريّ هو أقرب إلى كونه حديثاً عن عفاف مزعوم أو إيماناً بالعفاف عند المقدرة من دون أن يكون له بعد أخلاقيّ في ذاته؛ فلم يعد كما كان في عهود سابقة سمة أخلاقيّة ملازمة للفتوّة نفسها، تلك الفتوّة النابعة من النظرة الدينيّة حيث تعمّقت هذه الفكرة إبّان عصر الطوائف. وليس معناه أن نسقط قصائد الوله والحبّ السامي وأشعار الشوق والهيام وآلام الفراق، بل قصدنا توضيح ما التبس على البعض، إذ إنّهم اعتبروا بعض الشعراء عذريّين في حين أنّهم فاحشون في غير قصيدة.

ويبدو أن الشاعر الأندلسي كان مقيّداً في غزله بنموذج معيّن للمرأة ذات العيون النرجسيّة والخدود الورديّة والشفاه العسليّة والأسنان الأقحوانيّة والشعر الليلي والصدر الناهد والقدّ النحيل والردف الثقيل والقامة الرشيقة؛ وما أشبه من أوصاف درج عليها الشعراء وتناقلوها جيلاً بعد جيل. فلم يعد المتغزّل يرى في غير تلك الصفات موطناً للجمال، وربّما هذه الأوصاف منعت الشاعر الأندلسي من التغزّل بالشعر الذهبي والعيون الملوّنة.

وشعراء كثيرون يمثّلون اتجاهي الغزل في العصر الموحّدي التزموا الجوانب الأساسيّة للأوصاف.

فمن الذين التزموا جانب العفّة وصرّحوا بتلك السلوكيّة الفيلسوف ابن طفيل، له قصيدة رقيقة يتحدّث فيها عن زيارة محبوبه له ليلاً بعد نيام الرقباء والوشاة، وكان لقاؤهما حارّاً فيه عتاب وشكوى ودموع لأنه جاء بعد تهاجر وتباعد. لكنّهما برغم شوقهما وتلهّفهما وتوهّج عواطفهما لم ينسيا العفّة والخلق الشريف. فنراه يقول:

ولمّا التقينا بعد طول تهاجر ... وقد كاد حبل الودّ أن يتصرّما
جلت عن ثناياها وأومض بارق ... فلم أدر من شقّ الدجنة منهما

وساعدني جفن الغمام على البكا فلم أدر دمعاً أينا كان أسجما
فقالت وقد رقّ الحديث وأبصرت قرائن أحوال أذعن المكتما[1]

وقد سمح أبو بحر صفوان بن إدريس لنفسه بضمّ محبوبه والحنوّ عليه لكنه توقّف عند ذلك عفّة وشرفاً وكاد يكرّر تجربة ابن طفيل بقوله:

ضاجعته والليل يذكي تحته ناريـن من نفسي ومن وجناته
بتنا نشعشع والعفاف نديمنا خمرين من غزلي ومن كلماته
فضممته ضمّ البخيل لماله أحنو عليه من جميع جهاته
عزم الغرام عليّ في تقبيله فنفضت أيدي الطوع من عزماته[2]

وعيسى بن خليل (ت ٦٢٩هـ) كان يقف من حبيبه موقف التقديس والإجلال، فلا يطيق ملامسته وإنما يكتفي بالنظر والتأمّل وهو أسمى غاية وأكثر عفّة وعذرية.

تراه عيني وكفّي لا تلامسه حتى كأني في المرآة أنظره[3]

هذا التيّار انخفض صوته بعد ذلك، فلم يلجأ إليه سوى قلّة من الشعراء، في حين كان الاتجاه الحسّي أكثر غزارة وسعة. ولم تغب مناظر الطبيعة عن غزلهم، فقد كانت الإطار الجميل الذي احتضن حبّهم، ولنا في طيّ ديوان (ابن مجبر) وقفات تتحدّث بأرقّ النجوى وأحلى عبارات العشق والهوى. وكان ينمو في غزليّاتهم لون من الحوار الرقيق بين الشاعر وحبيبه أو بينه وبين عذّاله كقول أبي الحسن سهل بن مالك:

وكنت وعدتني يا قلب أنّي متى ما تبت من ليلى تتوب
فها أنا تائب عن ذكر ليلى فما لك كلّما ذكرت تتوب
فقال: بلى وعدتك غير أنّي أتوب إليك من ذنبي أتوب[4]

هذه الأبيات تمثّل حواراً عاشه الشاعر بتمزّق بين هيام قلبه ورغبته في النسيان والبعد. ولم تكن القصّة الغزليّة بعيدة عن الشعراء الغزليين.

---

(١) المراكشي، المعجب ٣١٣.
(٢) ابن الأبار، المقتضب ٨٤.
(٣) النفح ٢/٦٠٨.
(٤) ابن سعيد، القدح المعلى، ٦.

إنّ أخبار الحبّ الشاذّ والتوسّع بالغلمان والتغزّل بهم تكاد تكون من الأمور العاديّة، فقد كان يعالجها شعراً، فقهاء ونحاة وعلماء. فالرصافي البلنسي (ت٥٧٢هـ) يقتصد إظهار مقدرته الفنيّة على النقل والتصوير والاختراع أكثر من رغبة التعبير عن تنفيس جنسي يعاني الشاعر حرقته؛ ولعلّه في ذلك تقليداً أدبياً ومَترعاً نفسيّاً فنيّاً وليس كما يبدو ظاهريّاً انحرافاً وممارسة بذيئة. ومن أروع ما نظمه في هذا اللون قوله في غلام حائك:

قالوا وقد أكثروا في حبّه عذلي ... لو لم تهم بمذال القدر مبتذل

فقلت لو أن أمري في الصبابة لي ... لاخترت ذاك، ولكن ليس ذلك لي

علقته حببي الثغر عاطره ... ألمي المقبل أحوى ساحر المقل

إذا تأمّلته أعطاك ملتفتاً ... ما شئت من لحظات الشادن الغزل

جذلان تلعب بالمحواك أنمله ... على السدى لعب الأيام بالدول

ما إن يني تعب الأطراف مشتغلاً ... أفديه من تعب الأطراف مشتغل[1]

ويستفيد الشاعر من الحوار الذي بدأ به قصيدته ليزيد الحركة في اللوحة الشعريّة وينشّط حيويّتها.

ويعتبر أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي من شعراء الغزل الغلماني المجتهد في هذا الفن. عنده مقطّعات يتحدث فيها عن الطرف وفتنة الوجنات ونار الجوى ويهجو العذار لإخفائه جمال الحبيب وكسفه روعة البدر. من أبياته في غلام وسيم تركت الشمس آثارها على وجنتيه:

ومعندم الوجنات تحسب أنّه ... صبغت برود الورد في وجناته

نظرت إليه أخته شمس الضحى ... وآياتها في النور دون آياته

فتوقّدت أحشاؤها من زفرة ... فبدا شعاع النار في مرآته[2]

أما ابن سهل فيعتبر سيّد هذا اللون من الغزل، فقد توصّل فيه إبداعاً وصدقاً إلى قمّة الفتنة. ولعل ولع الشاعر بالغزل الغلماني وتخصّصه فيه عائد إلى الذوق الجمالي في إشبيليّة حينئذ.

يمتاز غزله برقّة متناهية وخضوع لدواعي الهوى وانسياقاً وراء

---

(١) الديوان ١٢١.

(٢) ابن الأبار، المقتضب ٨٥.

تهويمات تحتويه عاطفة أسيانة ملتاعة. ومن شعره الخانع:

ولو عقل الواشي، لقبلت نعله   أنزهه أن أذكر الجيد والثغرا[1]

وقوله أيضاً في موضع آخر:

ولولا حيائي واتقاء محله   لقبلت نعليه برغم العد ألفا
تأولت فيه الذل قلت: تواضع   وحسنت ترك الصون سمّيته ظرفا[2]

ويتبين لنا أنّ مسيرة الشعر في هذا العهد لم تهمد، فابن سهل بشاعريّته ومواهبه أظهر تفتّح أفق الغزل وطواعيّة أهل العصر على تقبّل هذه الأوصاف والمعاني والاسترسال في تصويرها.

إنّ الحرّيّة الاجتماعيّة والفكريّة التي منحها الموحّدون هي من دون شك ميزة تاريخيّة صبغت عصرهم بطعم خاصّ ولون مميّز بحيث تركت أثرها في النشاط العلمي والفلسفي. ويعتبر ابن سعيد الأندلسي خير من تحدّث بإسهاب عن تلك الجوانب واصفاً بالشعر والنثر أمسيات شربهم وإغراقهم في البحث عن اللّذّات المادّيّة من خمر وجسد[3]، حتّى بلغ ببعض الشعراء أن أعلنوا إلحادهم بلا خوف، واصفين الإسلام بدين الرعاع كقول أحمد بن محمد بن طلحة (ت ٦٣١هـ):

يقول أخو الفضول وقد رآنا   على الإيمان يغلبنا المجون
أتنتهكون شهر الصوم هلّا   حماه منكم عقل ودين
فقلت: أصحب سوانا، نحن قوم   زنادقة مذاهبنا فنون
ندين بكل دين غير دين الإسـ   ـلام فما به أبداً ندين
بحيّ على الصبوح، الدهر ندعو   وإبليس يقول لنا: آمين[4]

والقصيدة الخمريّة أيّام الموحّدين أخذت سمة التداخل بالطبيعة كسابقتها، وقد يتغلّب وصف الطبيعة والاهتمام بصورها على الغرض الخمريّ. فأبو الحجّاج بن عتبة الإشبيلي (ت٦٣٨هـ) يرى في تمايل ذوائب القصب الفارسي الذي يظلّل مجلسهم وفي اهتزاز أعطافه منادمة ومشاركة إيّاهم في سلافهم وقهوتهم:

انظر إلى القصب الذي تهفو به   ريح الصبا وتميله نحو الكؤوس

---

(١) ديوانه: ١٥٩.
(٢) ديوانه: ٢٤٥.
(٣) ابن سعيد القدح/ ٧٣.
(٤) النفح ٣/ ٣٠٩.

أو مـا كـفـاه شـربـه مـن طـلـه أو لا فـلـم جـعـلـت ذوائبـه تـنـوس
وغـدا يـهـزّ إلـى الـندامـى عـطـفـه حتى لقد شغل النواظر والنفوس[1]

وفي هذه المرحلة راجت القصائد الطوال التي تعالج الخمرة ضمن موضوعات أخرى كالطبيعة والغزل والحنين والتشوّق. وأخذت اللوحة الشعريّة تعتمد في تشكيلها على عناصر متقاربة متكاملة قائمة على الاسترجاع والتذكّر في نغمة حنين وشوق، ويأتي الخمر ضمن القصيدة حين يستغرق الشاعر في الحنين أحياناً.

وتغنّى الشعراء بأدوات الخمرة ولوازمها من أباريق وكؤوس، فكان لصورة سكب الخمرة من الإبريق في الكأس إثارة خاصة واهتمام واضح. وخلق أبو الربيع بن سالم بينه وبين الإبريق غزلاً وحبّاً. فهو كلّما همس بأذن الكأس وقبّله أثار خجله واحمرّت وجنتاه، وبذلك يشير إلى احمرار الخمر عند المزج:

غـازل مـن كـأسـي حـبـيـبـاً لـه فـكـلّـمـا قـبّـلـه أخـجـلـه[2]

وتلك الأحاديث لا تنتهي وإيحاءاتها طريفة وغنيّة ومتنوّعة. وازدادت أشعار الغربة عاطفة وغلب عليها طابع الحنين وقلّ فيها شعوره بالنقمة تجاه وطنه لدى بعض الشعراء الملثّمين الذين ألقوا اللوم على مواطنيهم لمواقفهم السلبيّة تجاههم، لكنّ الشاعر الموحّدي كان أكثر التصاقاً بذويه وتربته. أمّا الأشعار الداعية إلى الرحلة والتنقّل فهي كثيرة لدى شعراء الموحّدين وغالباً ما تتخذ سمة الرحلة العلميّة والثقافيّة، لكنها في طابعها العامّ تخلو من الشكوى، وقلّت أشعار التبرّم بالعيش في ربوع الوطن. والشكوى البائسة المستسلمة هي الطابع السائد في مختلف الأشعار وقلّما نجد عندهم التحدّي والصمود أمام نكبات الدهر وصروفه[3].

والفنّ الذي ظهر بشكل بارز في أواخر العهد الموحّدي هو النبويّات. وإذا كان هذا اللون من الشعر الديني معروفاً في الشرق، فإنّه أهمل في الأندلس لأسباب غير معروفة. واعتبرت قصيدة التشوّق إلى ضريح الأثر النبوي في الديار الحجازيّة مهمّة ومعروفة. وتركزّت معاني المدح حول كرم الرسول وشجاعته وزهده وتعبّده وذكائه.

---

(١) المغرب ١/ ٢٦٤.
(٢) النفح ٤/ ١١١.
(٣) انظر كتابنا: أصوات الهزيمة في الشعر الأندلسي.

وكان الموشح انقلاباً مهمّاً وثورة حقيقيّة في مسيرة الشعر العربي في الأندلس، وقد ارتسمت معالمه النهائيّة وفنونه وأغراضه وأوزانه في العصر الموحّدي لما شكّل من أهميّة في مجرى الحياة الاجتماعيّة والموسيقيّة والأدبيّة[١].

من خلال هذه الدراسة المختصرة للشعر الموحّدي يتبيّن لنا أنّ العصر كان باهراً بنوره وناضجاً بثقافته ومزدهراً في معارفه، وكما أنّه رسم بوضوح الشخصيّة الأندلسيّة التي اعتبرت لصيقة وصادقة بهمومها.

هذا المعجم الشعريّ نلحظ نواحيه وأغراضه في هذا الديوان الذي حاولنا بتقديم حال الشعر في عصر ابن مجبر أن نضع أشعاره في السياق العامّ وفي الأجواء الصحيحة لتلك البيئة المميّزة.

---

(١) **انظر كتابنا التوشيح في الموشحات الأندلسيّة** ـ دار الفكر اللبناني.

يحيى بن مجبر
أضواء على حياته

لا نملك عن ابن مجبر إلّا مجموعة ضئيلة من المعلومات، لا تتجاوز الاسم والموطن وبعض معلومات ميسّرة عن صلاته مع رجالات العصر، وقدر من القصائد والمقطعات لا تمثل شيئاً بالقياس إلى ما كان عليه ديوان الشاعر.

أمّا الاسم فإنّ أشمل صورة له تأتي على النحو التالي:

أبو بكر، يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر، الفهري[1]، ثم ترد بعد ذلك نسبته إلى مسقط رأسه أو منشئه أو مستقرّه، على نحو ما سوف يأتي بعد قليل.

وليس ثمّة خلاف كبير على هذا الاسم، فهناك اتّفاق على أنّ كنيته أبو بكر وعلى اسمه واسم أبيه واسم جدّه (وإن كان اسم الجدّ: عبد الرحمن لا يرد إلّا نادراً) ولعلّ الشيء الرئيسي الذي وقع فيه اضطراب هو اسم الشهرة:

أهو ابن مجبر بضمّ الميم وسكون الجيم وفتح الباء.

---

(١) هكذا يرد في مخطوطة التكملة لابن الأبار وفي الوفيات والإحاطة ونفح الطيب (وإن كان ابن خلكان لا يذكر نسبته إلى فهر، ويضيف: المرسي الأندلسي).
ويرد بغير اسم الجد في سير أعلام النبلاء والعبر للذهبي والفوات وغيرها، أما شذرات الذهب ففيها: «ابن مجبر الشاعر أبو بكر بن يحيى بن عبد الجليل الفهري الإشبيلي صاحب الأندلس» ولا شك أنه يحيى وليس ابن يحيى، ولم يكن يوماً صاحب الأندلس، وإنما الصواب: شاعر الأندلس.
وينبغي التفريق بينه وبين الشاعر الأندلسي: أبي بكر يحيى بن عبد الجليل المرسي المعروف باليكي (المتوفى بعد سنة ٥٦٠هـ) وكذلك: أبي بكر يحيى بن عبد الرحمن الأندلسي الملقب بوجنة الحيّة أو وجه الحيّة. انظر عنه ابن حجر في «نزهة الألباب في الألقاب» تحقيق عبد العزيز السديري. الرياض ١٩٨٩ ج٢ ص٢٢٨، كذلك لا صلة بينه وبين ابن مجبر (الصقلي) الذي ذكره العماد الأصفهاني في القسم المصري من الخريدة ولا بعبد الله بن مجبر الذي ذكره العماد كذلك.

أم أنّه ابن مجبر بسكون الباء.

أم ابن مجير ـ أي بالياء بدلاً من الباء؟

إن معظم المصادر ضبطته وفقاً للصيغة الأولى (أو بالأحرى ضبط هكذا في النسخ المطبوعة) مثل بغية الملتمس[1] ووفيات الأعيان والفوات وسير أعلام النبلاء وعبر الذهبي وزاد المسافر... الخ.

ولم نجده مضبوطاً بكسر الباء إلّا في معجم المؤلّفين لمحمّد رضا كحالة[2].

بينما يأتي في صورة: ابن مجير في كشف الظنون وفيه أيضاً جملة تقول:

وهو بخطّ ابن قاضي شهبة: المعروف بابن مجير[3] ومن الملاحظ أنّ الزركلي في الأعلام[4] أخذ بهذا الرأي، خلافاً لما ذكرنا من مصادر.

وواضح أنّ نسبته إلى فهر ـ أي أنّه كان عربيّ الأرومة ـ لم تكن محلّ خلاف...

وننتقل الآن لمجموعة أخرى من النعوت تتعلق بموطن رأس الشاعر أو المنشأ أو المستقرّ، وهنا نجد أكثر من نسبة وإن كان يقال عنده عادة: «المرسي ثمّ الإشبيلي» وفي ابن الأبار أنّه «من أهل شقورة[5] وسكن إشبيلية» وفي الروض المعطار:

«ومن شقورة أبو بكر بن مجبر الشاعر المفلق المجيد شاعر دولة بني عبد المؤمن».

ويقول صفوان بن إدريس صاحب زاد المسافر إنّ ابن مجبر «من بلش» (على مقربة من مالقة) بينما يأتي في الإحاطة إنه فرنشي!!

ومعنى ذلك أنّ شاعرنا ينسب إلى ثلاث مدن: شقورة، وبلش ثمّ هذا الاسم الثالث، وصوابه فرِّيش.

أما شقورة فيأتي عنها في الروض المعطار أنّها «مدينة من أعمال جيان،

---

(١) بغية الملتمس، ط. القاهرة ١٩٦٧.

(٢) معجم المؤلفين، ج١٣ ص٢٠٤.

(٣) حاجي خليفة، كشف الظنون، ط. طهران سنة ١٣٨٧ المجلد الأول عمود ٧٦٨. وانظر أيضاً هديّة العارفين ج٢ ص٥٢١.

(٤) الزركلي، الأعلام (ط. خامسة، بيروت ١٩٨٠) ج٨ ص١٥٢.

(٥) انظر عن شقورة: معجم البلدان ج٢ ص٣٥٥ وقال إنها تقع شمالي مرسيّة، وبها كانت دار إمارة همشك أحد ملوك تلك النواحي.

قالوا: وجبل شقورة ينبت الورد الذكي العطر والسنبل الرومي والطيب»، وقال ياقوت إنها تقع «شمالي مرسية، . . بها كانت دار إمارة همشك، أحد ملوك تلك النواحي، ينسب إليها عبد العزيز علي بن موسى الغافقي الشقوري».

وأما بِلِّش «أو بلّيش» فذكرها ابن الخطيب في «معيار الاختيار» قائلاً إنها: «نعم البلد الطيب، حلى ونحر، وبرك وبحر. . وفواكه من شمال ويمين. . إلّا أن التشاجر بها أنمى من الشجر، والقلوب أقسى من الحجر، وتقوى أهلِها بيّنة الحسد والضجر، وشأنها غيبة ونميمة، وخبث ما بها. . . تميمة»[1]، وذكرها صاحب المغرب في فصل بعنوان «كتاب التربيش في حلى مدينة بليش»، وقال إنها:

«مدينة في شرقي مالقة، عامرة، آهلة، ضخمة الأسواق، الحضارة أغلب عليها من البادية، وليس في قواعد أعمال مالقة مثلها في الحضارة، وحولها ضياع كثيرة، وقد مررت بها مع والدي وسألت: هل فيها من له نظم؟ فلم نجد من يؤبه به، وذكر لي أحد أدبائها أنّ منها شاعرين: عبد العزيز بن الطراوة وصالح بن جابر»[2].

وأما فريش فيحددها ياقوت بأنّها تقع غربي فحص البلوط بين الجوف والغرب من قرطبة[3].

وإذا كان من الثابت أنّه قضى شبابه في مرسيّة، ولم يغادرها إلى إشبيليّة إلّا بعد سنة ٥٦٧، فإننا لا نعرف على وجه التحديد أين ولد (أفي شقورة أم بلش أم فريش)؟ ولعلّه ولد في فريش، ثم ارتحلت به أسرته إلى شقورة أو بلش، على مقربة من مرسيّة[4] التي استقرّ بها حتى تجاوز الثلاثين من عمره.

وأيًا كان الأمر فإنّ شاعرنا استقرّ في فترة شبابه بمدينة مرسيّة، ودليلنا على ذلك عبارات متناثرة في بعض كتب التاريخ، مثل تلك الجملة في «التكملة».

«نشأ بمرسيّة، وأخذ عن شيوخها وتأثّر بهم».

---

(١) معيار الاختيار، تحقيق محمد كمال شبانة، ط. المغرب سنة ١٩٧٦، ص٩٢، والنص كذلك في ريحانة الكتاب لابن الخطيب، تحقيق عنان ـ القاهرة ١٩٨١ ج٢ ص٢٨٧.

(٢) علي بن سعيد، المغرب في حلي المغرب (الطبعة الأولى سنة ١٩٥٣) ج١ ص٤٤٢ ـ ٤٤٣.

(٣) معجم البلدان، ج٣ ص٢٥٩.

(٤) هناك أديب من شرقي الأندلس يدعى أبا بكر المرسي (انظر عنه الخريدة (قسم الأندلس) ج٢ ص١٤٨ وأصله من إشبيليّة، وكان شاعراً وشاحاً وننبه إليه حتى لا يخلط القارئ بينه وبين شاعرنا أبي بكر المرسي المعروف بابن مجبر.

وفي الإحاطة: امتدح الأمراء والرؤساء، وكتب عن بعضهم، وحظي عندهم حُظْوة تامّة، واتّصل بالأمير أبي عبد الله بن سعد، وله فيه أمداح كثيرة، وبعد موت الأمير المذكور، وكونه في جملته استحقّ الذكر فيمن حلّ بغرناطة.

وابن سعد المعنيّ هنا هو الأمير الشهير ابن مردنيش الذي أشرنا إليه قبلاً في إيجاز، وله في هذه المرحلة ملاحم بالغة الغرابة والعنف؛ فقد كان أحد الشخصيات المتمرّدة، المغامرة التي ظهرت في شرقي الأندلس، وتبنّى شعار ضرورة استقلال أهل البلاد بتسيير أمورهم من غير وصاية من قبل المغرب (أي ضدّ المرابطين ثمّ الموحّدين) وساعدته بيئة شرقيّ الأندلس على ذلك، ومن المؤسف أن جلّ استناده كان على الممالك النصرانيّة في الشمال والثغر الأندلسي الأعلى، أي على مملكة قشتالة بصورة خاصّة.

وكانت بلنسية قاعدة المرابطين في الشرق الأندلسي، إلى أن استقلّ بها قائد الثغر أبو عبد الله بن عياض، وانتهى الأمر بأنْ عيّن ابن عياض صهره عبد الله محمد بن سعد بن مردنيش نائباً عنه في بلنسية، ثمّ أصبح ابن أخيه محمّد بن سعد نائباً على مرسيّة، وبعد مقتل ابن عياض سيطر ابن مردنيش على إمارة شرقي الأندلسي كلها اعتباراً من سنة ٥٤٢هـ. ويقول ابن سعيد ـ نقلاً عن صاحب فرحة الأنفس ـ إنه «ملك مدينة جيان ومدينة غرناطة وما بينهما، ومدينة بلنسية ومدينة طرطوشة»[١].

ولا يعرف على وجه الدقة إن كان ابن مردنيش هذا عربي الأرومة أم من المولّدين (وفي هذه الحالة يكون اسمه تعريباً للاسم الأسباني مرتينيز Martinez أو لاسم قريب من ذلك)، ولكن من المؤكّد أنّه كان مولعاً بمحاكاة النصارى في زيّهم وعاداتهم، وكان يجيد اللغة القشتاليّة، ويؤثر التحدّث بها، وكان يدعو إلى جيشه كثيراً من النصارى المرتزقة من القشتالين والقطلان والبشكس[٢].

ونخلص من هذا كله إلى أنّ المعلومات التي لدينا عن حياة ابن مجبر في مرسيّة ضئيلة للغاية، ولكن ما نرجّحه أنّ الرجل عاش فيها حياة وادعة آمنة، فقد تميّزت المدينة بجمالها الفريد، ولعلّ خير ما يصوّره ما جاء في كتاب المغرب في باب النغمة المنسيّة في حلى حضرة مرسيّة ـ نقلاً عن المسهب ـ:

«مرسيّة أخت إشبيليّة، هذه بستان شرق الأندلس، وهذه بستان غربها،

---

(١) المغرب، ج٢ ص٢٥٠ وانظر أعمال الأيام لابن الخطيب ص٢٩٨.

(٢) عنان، المرجع المذكور له ج١ ص٣٦٦.

قد قسم الله بينهما النهر الأعظم، فأعطى هذه الذراع الشرقي وأعطى هذه الذراع الغربي.

ولمرسيّة مزيّة تيسير السقيا منه وليست كذلك إشبيليّة لأن نهر مرسيّة يركب أرضها، وإشبيلية تركب نهرها. ولمرسية فضل ما يصنع فيها من أصناف الحلل والديباج، شريفة المكان، كثيرة الإمكان»[١].

وكانت المدينة حافلة آنذاك بالعديد من الكتّاب والشعراء وأهل العلم، منهم ابن موهد الشاطبي، وذكر ابن سعيد أنّه «سكن مرسية، ومدح بها ابن مردنيش ملك شرق الأندلس»[٢].

ومن الكتّاب أبو يعقوب يوسف بن الجذع[٣]، وأبو جعفر أحمد السلمي[٤]، وأبو علي بن حسان[٥]، وقد كتبوا جميعاً لابن مردنيش، ومن أشهر شعراء مرسية، صفوان بن إدريس، مؤلّف «زاد المسافر» وذكر له ابن سعيد الأبيات التي يغنّي بها في الآفاق» وهي:

يا حسنه والحسن بعض صفاتهِ	والسحر مقصور على حركاتهِ
بدر لو أنّ البدر قيل له اقترح	أصلاً لقال أكون من هالاتهِ
يعطي ارتياح الحسن غصن أملد	حمل الصباح فكان من زهراتهِ
والخال ينقط في الصحيفة خدهِ	ما خط مسك الصدغ من نوناتهِ

هكذا أصبح ابن مردنيش صاحب الكلمة النافذة في مرسية وبلنسية وغيرهما - من طرطوشة في الشمال وحتى قرطاجنة ولورقة جنوباً -، ومن يمضي في متابعة تاريخ هذا المغامر الجسور، الممتلئ بشهوات الطموح والشر والكبرياء، يصل إلى نهايته - سنة ٥٦٧هـ - إذ يموت (أو ينتحر أو يقتل بالسم.. الله أعلم) والجيش الموحّدي يطبق على بلاده، وتنطوي برحيله تلك الصفحة الحافلة بالأهوال والغرائب والدم والتعلّق بشهوات الحياة، وتنطفئ «شخصيّة أندلسيّة» تقليديّة تجمع بين طيّاتها أقصى درجات التناقض في السلوك والتفكير.

هذه هي الشخصيّة التي قالت المصادر إن شاعرنا ارتبط بها ودبج فيها

---

(١) المغرب، ج٢ ص٢٤٥.
(٢) المغرب، ج٢ ص٣٩٠.
(٣) المغرب، ج٢ ص٢٥٠.
(٤) المغرب، ج٢ ص٢٥٥.
(٥) المغرب، ج٢ ص٢٥٥.

المدائح، لكن هذا الشعر اختفى كلّه، كما اختفى كل ما قاله من مديح في رجالات ابن مردنيش (ما عدا بعض مقطوعات قيلت في إبراهيم بن مردنيش عندما جمح به جواده فقال ابن مجبر في ذلك، أي من اللون الذي يسميه البلاغيون: تحسين القبيح) ومنهم أبو الحجاج يوسف بن سعد ـ شقيق ابن مردنيش ـ وكان نائبه على بلنسية، وكذلك الأمير إبراهيم بن همشك، صهر ابن مردنيش، وكان من مشاهير رجالات الأندلس آنذاك، وكثيراً ما «كان يضرب به المثل في السطوة والقتل»[1].

كذلك لا نجد أثراً لمديح في يوسف بن هلال، صهر ابن مردنيش، وكان نائبه على حصن مطرنيش، ولكن هنا بيتين في رثاء القائد أبي عثمان سعيد بن عيسى الذي نصبه ابن مردنيش على لورقة، إلّا أنّ هذه المقطوعة لا تنتمي إلى الفترة البلنسيّة من حياة شاعرنا لأن ابن عيسى عاش بعد أن سقط ملك ابن مردنيش، وأصبح هذا القائد من رجالات الدولة الموحّديّة المبرّزين إلى أن استشهد في ساحة الوغى.

ثمّ تكون النقلة من مرسيّة إلى إشبيليّة، من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، وهي نقلة قد تبدو غريبة، لكن في واقع الأحداث ما يجعلها طبيعيّة منطقيّة، ذلك أنّ إشبيليّة كانت حاضرة الدولة الموحّديّة في الأندلس، كما كانت حاضرة دولة بني عباد من قبل، في حين أن الشرق الأندلسي كان قد فقد مكانته بعد وفاة ابن مردنيش، فضلاً عمّا كان يتهدّده من أخطار من جرّاء مجاورته لأملاك الفرنجة الذين التهموا من قبل مناطق الثغر الأندلسي الأعلى، وراحوا يتطلعون للانقضاض على مدن الشرق الأندلسي التي تليها.

ومن الطبيعيّ أن يسعى ابن مجبر لاحتلال مكانته في بلاط الخليفة الموحّدي أبي يعقوب يوسف، وكان شاعره المقرّب آنذاك أبو العباس الجراوي[2] (أحمد بن

---

(١) المغرب، قسم الأندلس ج٢ ص٥٥.

(٢) جاء عنه في وفيات الأعيان ـ في ثنايا ترجمة يوسف بن عبد المؤمن ـ ج٧ ص١٣٧:
وكان الأديب أبو العباس أحمد بن عبد السلام الكورايي ـ «كورايا قبيلة من البربر منازلهم بضواحي مدينة فاس، وقيل إن هذه القبيلة إنما يقال لها جراوة بفتح الجيم، وقد تبدل الجيم كافاً فيقال لها كراوة، والنسبة لها جراوى وكراوى ـ وكان هذا الأديب نهاية في حفظ الأشعار القديمة والمحدثة، وتقدم في هذا الشأن وجالس به عبد المؤمن ثم ولده يوسف ثم ولده يعقوب، وجمع كتاباً يحتوي على فنون الشعر على وضع الحماسة لأبي تمام الطائي وسماه:
صفوة الأدب وديوان العرب، وهو كثير الوجود بأيدي الناس وهو عند أهل المغرب =

عبد السلام) من أهل تادلا واستقرّ في مراكش، وهو ممّن برعوا في المديح والهجاء المقذع. ولكن هناك إشارة قد تدلّ على أنّ مجبر استطاع أن يزعزع الجراوي عن مكانته، فهناك خبر يقول إنّه أنشد ذات يوم بين يديّ الخليفة يوسف بن عبد المؤمن قصيدة، منها هذا البيت:

إن خير الفتوح ما كان عفوا مثلما يخطب الخطيب ارتجالاً

فعلق الجراوي على البيت بأنّه مأخوذ من قول وضاح:

خير شراب ما كان عفوا كأنّه خطبة ارتجال

«فبدر المنصور وهو حينئذ وزير أبيه وسنه قرب العشرين، قال: إن كان اهتدمه فقد استحقّه، لنقله إيّاه من معنى خسيس إلى معنى شريف، فسرّ أبوه بجوابه وعجب الحاضرون»[1].

وفي الإحاطة أنّه «مدح يوسف بن عبد المؤمن، ونال جوائزه»[2]. ولكننا لا نجد فيما بين أيدينا من شعر ابن مجبر أيّ نص في مدح هذا العاهل الموحّدي، وكلّ ما هناك مطلع مرثيّة له فيه، أوردها ابن خلكان[3] ونقلها عنه المقري[4] في خبر يقول إنّ هذا الخليفة لمّا مات رثاه الأديب أبو بكر يحيى بن مجبر بقصيدة طويلة أجاد فيها، وأوّلها:

جل الأسى فأسل دم الأجفان ماذا الشؤون لغير هذا الشان

وهذا كلّ ما وصل إلينا من هذه المرتبة التي وصفت بالطول والجودة.

= كالحماسة عند أهل المشرق وهذا الكتاب ألّفه للمنصور الموحدي وذكر أيضاً أن «له كل شعر مليح، وكان شيخاً مسناً جاور الثمانين سنة، وتوفي في آخر أيام الأمير يعقوب (المنصور). وعرف بالهجاء المقذع فمن ذلك قوله يذم أهل فاس:

مشى اللؤم في الدنيا طريداً مشرداً يجوب بلاد اللّه شرقاً ومغربا

فلما أتى فاساً تلقاه أهلها وقالوا له أهلاً وسهلاً ومرحبا

وانظر عنه: التكملة ١٣٨ والغصون اليانعة ٩٨ ومقدمة كتابه الحماسة المغربيّة أو مختصر صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب بتحقيق د. محمد رضوان الداية، جزءان، بيروت ١٩٩١، والنبوغ المغربي ج١ ص١٧٩ الخ..

(١) نفح الطيب، ج٣ ص٢٣٧ ـ ٢٣٨.

(٢) الإحاطة، ج٤ ص٤١٨.

(٣) وفيات الأعيان، ج٧ ص١٣٣.

(٤) نفح الطيب، ج٤ ص٣٨٠.

وهكذا يفضي القول إلى تناول صلة ابن مجبر بالخليفة الموحّدي «المنصور»، حيث يصبح ابن مجبر بعد فترة وجيزة شاعره الأثير المترنّم ببطولاته وسجاياه، المندّد بأعدائه في كافّة المناسبات، بينما يتوارى عباس الجراوي للمحلّ الثاني...

وأوّل خبر يجمع بين المنصور وابن مجبر ينبغي أن يكون تاريخه نحو سنة ٥٧٥هـ، إذ كان المنصور في الحكاية المذكورة وليّاً للعهد (والمعروف أنّه ولي الخلافة سنة ٥٨٠، على أثر وفاة أبيه أبي يعقوب يوسف) وأنّه كان في نحو العشرين من عمره، والمتفق عليه أنّ ميلاده كان في سنة ٥٥٤هـ أو السنة التي تليها، أمّا الشاعر فإنّه كان في عنفوان السنّ والنضج، إذ لم يكن قد تجاوز الأربعين ربيعاً.

ثمّ تتوالى القصائد المدحيّة في المنصور، على نحو ما تكشف عنه عبارة ابن خلكان التي يقول فيها عن ديوان ابن مجبر: «ونظرت فيه فوجدت أكثر مدائحه في الأمير يعقوب بن عبد المؤمن» ـ والمفترض هنا أنّ ابن خلكان يعني «في الأمير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن» وليس «في الأمير أبي يعقوب بن عبد المؤمن» لأنّ مجمل الأخبار والنصوص التي نملكها تؤكد أنّ الشاعر كرّس طاقته في مدح الخليفة يعقوب الملقّب بالمنصور، وقد أخبرنا الضبي في «بغية الملتمس» أنّ ديوان ابن مجبر يقع في سفرين ضخمين، ولم يصل هذا الديوان إلينا، ولنا أن نفترض أنّ المدّيح يشغل الحيّز الأكبر منه، ولنا أن نفترض كذلك أنّ مدائحه في الخليفة المنصور تحتلّ قصب السبق فيه.

ويمكن استخلاص مجموعة من الملاحظات:

ـ إن شاعرنا ـ بعد أن ترك مرسيّة ـ استقرّ بصورة أساسيّة في إشبيليّة. وفي نفح الطيب «أنّه كانت له وفادة على المنصور كلّ سنة»[١]، أي سفرة إلى مراكش عاصمة الموحّدين، ينشده فيها المدائح، وينال الجوائز.

ـ يُستدل من خلال بعض الأخبار المتناثرة أنّ الشاعر كان يتنقل في موكب الخليفة خلال تجواله عبر مدائن الأندلس وفي الإحاطة: «ومر المنصور أيام إمرته بلوقيّة من أرض شلب، ووقف على قبر أبي محمد بن حزم، وقال: عجباً لهذا الموضع يخرج منه مثل هذا العالم، ثمّ قال: كلّ العلماء عيال على ابن حزم ثم

(١) نفح الطيب، ج٣ ص٢٤١.

رفع رأسه وقال: كما أنّ الشعراء عيال عليك يا أبا بكر، يخاطب ابن مجبر»[1].

ـ مرّت بنا عبارة تقول إنه، امتدح الأمراء والرؤساء، وكتب عن بعضهم وحظي عندهم حظوة تامة، واتّصل بالأمير أبي عبد الله بن سعد واستدللنا منها أنه «كتب عن بعضهم» أيام مقَامِهِ في مرسيّة، فهل استمرّ على هذا النهج بعد أن انتقل إلى إشبيليّة؟ لسنا نملك نصّاً واضحاً في هذا، ونحن نرجّح أنه ظلّ على عهده بالكتابة لدى بعض الأمراء والرؤساء، خاصّة وأنّنا لا نعرف أنّه ارتبط يوماً ما بمنصب ثابت في الدولة أو امتهن مهنة معيّنة.

ـ ونشير هنا إلى لقب «الأديب» الذي طالما نعت به شاعرنا، وأمره غامض شيئاً ما، إذ كان قليلاً ما يطلق على الشعراء، وعادة ما كان يسبغ على الكتاب من أهل الظُرف واللباقة والثقافة العامّة، وكلّ الدلائل تشير إلى أن صاحبنا كان من هذا الطراز، فضلاً عن براعته في مضمار الشعر.

ومع ذلك فإننا لا نجد لابن مجبر أيّ نصّ نثري، كما لا يوجد شيء يشير إلى أنّه ألّف كتباً أو جمع مختارات، على نحو ما فعل أبو العباس الجراوي ـ منافسه الأوّل في زعامة الشعر آنذاك ـ الذي ألّف كتاباً يحمل عنوان «صفوة الأدب وديوان العرب» واشتهر هذا الكتاب في المغرب شهرة تناظر تلك التي حظيت بها حماسة أبي تمّام في المشرق. . .

وقد يقال إنّ ابن مجبر اشترك في تأليف مقامة عرفت باسم «المقامة الحسينيّة» وردت في مجموعة أدباء مالقة لابن خميس، وأورد منها ابن الأبار في «تحفة القادم» قطعة لا بأس بها.

ولكن واقع الأمر أنّنا هاهنا أمام «مقامة» شعريّة أو فلنقل إننا أمام مباراة شعريّة في التغني بحسن، أحد شبان مالقة ـ ويدعى عبد المحسن ـ شارك فيها شاعرنا مع شعراء آخرين، وتألّفت من مجموعة المقطوعات التي قيلت فيه «مقامة» من طراز خاصّ.

ولسنا نملك من النصوص ما يساعد على رسم صورة حيّة للرجل. . ولكنّ القدر الضئيل الذي بين أيدينا قد يسمح باستخلاص بعض الملامح، التي تبديه لنا

---

(١) الإحاطة، ج٤ ص٤١٨، بينما يرد النص نفسه في نفح الطيب ج٣ ص٢٣٧ على أنها أونبّة وليست لوقيّة، في حين أن ابن حزم مدفون في موطن أسرته سنت ليثم (كازا مونتيخو الآن) من أعمال مدينة لبلة، وهي بعيدة عن شلب.

إنساناً دمث الخلق، حلو المعشر، ممتلئاً بالتجارب التي جعلته يقبل الحياة على علّاتها، فمن ذلك أنّه يقول:

إذا ما الصديق نبا ودّه فلا يك ودك بالمنقلب
وعاتبه لكن رويداً كما تعض على الطفل عند اللعب!

وفي شعره ما يدل على فقره وتعفّفه في آن واحد، على نحو ما تعبّر مقطوعته:

وقائلة تقول وقد رأتني أقاسي الجدب في المرعى الخصيب
أما عطف الفقيه وأنت تشكو له شكوى العليل إلى الطبيب
وقد مر الثناء بمعطفيه كما مر النسيم على القضيب
فقلت عليّ شكر وامتداح وليس عليّ تقليب القلوب

وقد يعضّه الإملاق بنابه، ويهوى به الحال إلى الدرك الأسفل من العوز، ولكنّه يحاول جاهداً أن يتعفّف، ويؤثر أن يلجأ إلى الإعراب عن حاله من خلال ما أصاب فرسه من هزال:

سأستجدي صغيراً من كبير وأرغب في حصاة من ثبير
وأقنع بالقليل النزر ممّن يجود وليس يقنع بالكثير

ثم يردف:

ومن يرجو الملوك لكلّ أمر فلا يذر الحقير من الأمور

وها هو جواده البائس:

أحس بوسق أبعرة رآها فأقبل يرتعي بعر البعير
ورام يسير من طرب إليها فقيّدهُ الهزال عن المسير

ومع ذلك نراه في مقطّعات أخرى يرى أن القيمة الحقيقيّة للإنسان في علمه لا ماله:

لا تغبط المجدب في علمه وإن رأيت الخصب في حاله
إن الذي ضيع من نفسه فوق الذي ثمّر من ماله

ونراه كذلك يذمّ البخل والبخلاء:

ألا مقت الله سعي الحريص فما جازه الذمّ إلّا إليه

يسرّ بما في يدي غيره ... وينسي السرور بما في يديه

هذه بعض سمات شاعرنا ابن مجبر الذي رأيناه يترك مرسيّة بعد أن زال عنها ملك ابن مردنيش، ويستقرّ في إشبيليّة حاضرة الموحّدين ويتألّق نجمه في بلاط أبي يعقوب يوسف ثم في بلاط الخليفة المنصور، حيث يصبح شاعر الدولة الأوّل. ونحن لا نجد عملاً للخليفة إلّا ونرى له أثراً في قصائد الشاعر؛ فمن ذلك هزيمة الموحدين في عمرة ثم انتصارهم في قفصة على ابن غانية ومن آزروه.

فلدينا عنها نص من عشرين بيتاً أوّله:

من لم يؤدبه تأديب الكتاب فما ... له بغير ذباب السيف تأديب

وقصيدة وصل منها واحد وعشرون بيتاً مطلعها:

عدوكم بخطوب الدهر مقصود ... وأمركم باتصال النصر موعود

وأيضاً قصيدته:

أسائلكم لمن جيش لهام ... طلائعه الملائكة الكرام

وتناول ابن مجبر معارك المنصور في الأندلس فسجل ذلك في قصائد منها قصيدته التي أوّلها:

بشراي هذا لواء قل ما عقدا ... إلّا ومد له الروح الأمين يدا[1]

وقصيدته:

قلائد فتح كان يذخرها الدهر ... فلما أردت الغزو أبرزها النصر

ومقطوعته:

ركب إلى نار الجحيم مسيرهم ... وركابهم لا تستطيع مسيرا

الحي منهم لا يرى مستوطناً ... والميت منهم لا يرى مقبورا

مما يزيد الأرض طيباً أنها ... لفظت عداتك أبطناً وقبورا

وهي في بغية الملتمس، يتصدرها: «ولما صلب الجزيري ومن أخذ من أصحابه بحضرة إشبيليّة، وعاينهم (ابن مجبر) قد رفعوا في خشبهم أنشد»، وهو

---

(١) قيلت في مناسبة استرداد مدينة شلب من البرتغاليين، وعلى رأسهم ملكهم سانشو الأول (وليس ابن الرنق كما يذكر بعض الدارسين، فإن ابن الرنق توفي سنة ٥٨١هـ بينما لم يتم استرجاع شلب إلا سنة ٥٨٧هـ).

يشير هنا إلى أحد المتمرّدين على سلطان الموحّدين ويدعى علي الجزيري، ويقول ابن عذارى إنّ خبره وصل إلى المنصور وهو في إشبيليّة (سنة ٥٨٦)، وما جره ظهوره من:

«انتشار الأرجاف به ببر العدوة، وكان هذا اللعين في أوّليّته يتعلّق بأذيال الطلب ويلهج منه بحفظ المتشابهات وما يؤول منه إلى الروايات فأمر الخليفة بطرده، فمشى ملفوظاً يتغرب ويتجول في الأقطار، ويسعى في الفساد بالتكتّم والاستتار ويلتمس أبداً جهالاً من العوام يحادثهم ويطابقهم ويلابسهم الخبيث وتنبعث عنه الأحاديث. . .»[1] وطورد في المغرب ففرّ إلى الأندلس وكان من إلقاء القبض عليه وصلبه هو وأصحابه ما كان[2] . . .

ولدينا، فضلاً عن ذلك، قصائد ومقطّعات لابن مجبر يعسر تحديد مناسبتها ولكنّها ممّا قيل في مدح الخليفة المنصور. فمن ذلك قصيدة كثيراً ما تتردد مقاطع منها في كتب الأدب والتاريخ، وهي الّتي تستهلّ بـ:

أتــــراهُ يــــتــــرك الــــغــــزلا   وعــلــيــه شــبّ واكــتــهــلا

وقد أثبتوا جلّ أو كلّ مقطعها الغزلي الافتتاحي، الذي يفضي إلى مدح المنصور:

ثــمّ قــالــت ســوف نــتــركــهــا   ســلــبــاً لــلــحــبّ أو نــفــلا

قــلــت أمــا وهــي قــد عــلــقــت   بــأمــيــر الــمــؤمــنــيــن فــلا

مــا عــدا تــأمــيــلــهــا مــلــكــاً   مــن رآه أدرك الأمــلا

ومن المعروف أنّ المنصور أوّل من تلقّب بـ «أمير المؤمنين» من ملوك المغرب . .

---

(١) البيان المغرب (قسم الموحدين) ص٢٠٧.

(٢) قارن هذه الأبيات بقول أبي عباس الجراوي في المناسبة ذاتها:

جد الجزيري في إتلاف مهجته   حتى تورط في أحبولة القدر

نار من الفتنة العمياء أطفأها   سعد الإمام وحد الصارم الذكر

ما زال إبليس في الأقطار يوقظها   وترتمي من شرار الخلق بالشرر

زاد الشقي على الخفاش مشبهه   ضعف البصيرة إذ ساواه في البصر

جارى إلى سقر أصحابه فهووا   فيها سراعاً ووافاهم على الأثر

إن الذي اتخذ الأهواء آلهة   على الضلال مصر غير مزدجر

والوعظ في الناس مقبول ومطرح   كالخط في الماء أو كالنقش في الحجر

وهناك مقطع من قصيدة ذات طرافة تتعلق بوصف المقصورة التي شيّدت للمنصور في المسجد الكبير بالعاصمة مراكش، ووضعت على حركات هندسيّة ترفع بها لخروجه وتخفض لدخوله، وعجز شعراء العصر عن وصفها إلّا ابن مجبر الذي أنشد بين يديّ المنصور قصيدته:

أعلمتني ألقي عصا التيار ... في بلدة ليست بذات قرار

وتطرّق فيها إلى وصف حركات المقصورة، ممّا أثار إعجاب المنصور. ونعرض آخر ما نعرض لقصيدته[1] التي أوّلها:

قضى حقوق الله في أعدائه ... ثم انثنى والنصر تحت لوائه

والتي يقول فيها:

بحر طمى والبأس من أمواجه ... صبح بدا والحق من أضوائه
عمد أقام به المهيمن حقه ... والحق عمدة أرضه وسمائه
وأباحه مهج العدا فكأنما ... قد نصلت أرماحه بقضائه
أغزى بهم جيشاً تضيق الأرض عن ... أفواجه والوهم عن إحصائه
كالعارض الثجاج ملء هوائه ... لكن دم الأبطال من أنوائه

ومن أبياتها:

لما رأى للشرك رسماً مائلا ... أوهى قواه وجد في إقوائه
أنحى عليهم بالصوارم والقنا ... حتى إذا لم يبق غير دمائه
أبقاه والذعر المخيف بيده ... فكأنه سبع على أشلائه
مستأصلاً شيئاً فشيئاً أمرهم ... كر الزمان بصبحه ومسائه

وهي لا تأتي إلّا في «رفع الحجب» للشريف الغرناطي، مصدره بـ: ولمّا طال على ملوك الروم البلاء، ورأوا ما نزل بهم من الاستئصال لجيوشهم وقواعدهم، واصلوا الرغبة في المهادنة وأذعنوا إلى السلم فأجابهم المنصور إليه على شروط كثيرة اشترطها عليهم، وفي ذلك يقول شاعره: «أبو بكر بن مجبر»[2].

---

(١) رفع الحجب، ج١ ص٧١ ـ ٧٢، ويقول المقري في نفح الطيب، ج٣ ص٢٤١ «وقد بطلت حركات هذه المقصورة الآن، وبقيت آثارها حسبما شاهدته سنة عشر وألف، والله تعالى وارث الأرض ومن عليها».
(٢) رفع الحجب، ج٢ ص١٥٥.

ونحن لا نعلم بصورة يقينيّة المناسبة التي قيلت فيها هذه القصيدة، لكنّنا نرجّح أنّها كتبت بعد استرداد المنصور مدينة شلب من أيدي البرتغاليين في الخامس والعشرين من جمادى الثانية سنة ٥٨٧ (٢٣ يوليو سنة ١١٩١م)، ثمّ رجع بعدها إلى إشبيليّة ومنها إلى مراكش.

وأيّا كان الأمر، فإنّه من الخطأ[١]، القول بأن هذه القصيدة قيلت عقب انتصار المنصور على جيوش قشتالة بزعامة الأذفونش (ألفونسو الثامن) وذلك في معركة الأراكة (الأرك) ذلك أنّ هذه المعركة جرت وقائعها ـ كما قلنا قبلاً ـ في سنة ٥٩١هـ، والمسلّم به أنّ ابن مجبر لم يكن حيّاً في هذا التاريخ.

وقد مر بنا في ثنايا الحديث عن ابن مجبر ذكر للشاعر الجراوي في أكثر من موضع، ذلك أنّ حياة الرجلين كثيراً ما تشابكت بل إن هذا التشابك امتدّ إلى الشعر، فمن ذلك تلك القصيدة التي تبدأ بـ:

عدوكم بخطوب الدهر مقصود ... وأمركم باتصال النصر موعود

فهي في «البيان المغرب» مؤكّدة النسبة لابن مجبر، أمّا في الروض المعطار فيسبقها: «وقال هو ـ أي ابن مجبر ـ أو الجراوي» والخبر نفسه في «الحلل السندسيّة» للوزير ابن السراج ولكنّه يضيف بشأن القصيدة السابقة: «وثبتت القصيدة في ديوان الجراوي» وهذا يبدو غريباً لأنّه يخالف ما جاء في البيان المغرب، وأمّا التجاني فإنّه جعلها مذبذبة النسبة بين الرجلين.

وقد مرّ بنا موقف انتصر فيه المنصور ـ وكان وقتها وليّاً للعهد ـ لابن مجبر على الجراوي، وفي «رفع الحجب» أنّ الخليفة المنصور استمع للشعراء ـ ومنهم ابن مجبر ـ في مناسبة إعداد المقصورة المتحرّكة، فلمّا انتهى ابن مجبر من إلقاء قصيدته «طرب المنصور لسماعها، وارتاح لاختراعها والتفت إلى الجراوي وكان يعلم قلّة تسليمه لأبي بكر، وكثرة غضبه منه، فقال: سلم يا أحمد! ثم أنشده:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع!

قال أبو عبد الله: فخرج أبو بكر بن مجبر والشعراء يومئذ يلومونه أن لم يكن أول منشد حتى يخفوا أشعارهم بعده، ويخفوا عوارهم»[٢].

---

(١) د. حكمت الأوسي: الأدب الأندلسي في عصر الموحدين ص١٢٥، ووقع شفيق محمد الرقب: شعر الجهاد في عصر الموحدين، ص١٩٥ في نفس الخطأ الذي وقع فيه د. الأوسي.

(٢) رفع الحجب، ج١ ص٧١ ـ ٧٢.

نهاية المطاف :

ليس هناك خلاف كبير على تاريخ وفاة ابن مجبر، فقد نصّ الضبي في بغية الملتمس[1]، والذهبي في العبر[2]، وابن شاكر في الفوات[3] على أنه مات سنة ٥٥٨هـ، أمّا ابن خلكان[4] فقال إنّ وفاته كانت سنة ٥٨هـ، وبعض مصادر مثل - التكملة - قدّمت التاريخين معاً: «توفي بمراكش ليلة الأضحى سنة ٥٨٨هـ، كهلاً، وقيل توفي سنة سبع وثمانين»[5]، وهذا أيضاً ما يأتي في «سير أعلام النبلاء»[6].

والخلاصة أنّ حياة الشاعر تتحدّد ما بين سنة ٥٣٥ وسنة ٥٨٨، ذلك أنّ لسان الدين بن الخطيب نصَّ صراحة على أنه مات «سنة ثلاث وخمسون سنة»[7].

هذه صورة موجزة عن هذا الشاعر الأندلسي الذي طالما أشادت به المصادر القديمة، والذي خفي أمره - أو كاد - عن المعاصرين بسبب ضياع ديوانه وتبدّد معظم شعره، وهو - ولا شك - جدير بأن ينظر إلى أدبه نظرة الإعجاب والتقدير، وبحسبنا أن نذكر مرّة أخرى بعبارة الخليفة المنصور بشأن ابن حزم وابن مجبر وكيف اعتبر فيها كلّ أهل العلم عيال على ابن حزم، كما أنّ الشعراء عيال على ابن مجبر، وتزداد هذه المقولة قيمة عندما نعرف أنّ المنصور كان من أشدّ المتحمّسين للمذهب الظاهري - الذي أرسى ابن حزم قواعده - وكان يعمل على نشره ليقضي به على نفوذ المذهب المالكي في المغرب والأندلس، وكأنّه رأى أنّ شأن ابن مجبر بين الشعراء نظير شأن ابن حزم بين أهل العلم.

وللضبي في بغية الملتمس جملة تقول عن ابن مجبر:

«أديب شاعر متقدم في طريقة الشعر، برع فيها وفاق أهل زمانه».

ويقول ابن الأبار في «التكملة».

---

(١) الضبي، بغية الملتمس، ص٥٠٨ ترجمة رقم ٤٩٤.

(٢) الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٤ ص٢٦٧.

(٣) ابن شاكر فوات الوفيات، ج٤ ص٢٧٥. وانظر كذلك شذرات الذهب ج٤ ص٢٩٥.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان ج٧ ص١٣.

(٥) ابن الأبار، التكملة ج٣ ص١٣٢ ووافقه حاجي خليفة وكشف الظنون، عمود ٧٦٨.

(٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء ج٢١ ص٢١٥.

(٧) لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة ج٤ ص٤٢١.

وأشار محققاً الجزء الحادي والعشرين من سير أعلام النبلاء إلى أن قول ابن الأبار: عن «وفاته كهلاً: فيه نظر» لأنهما اعتبرا «كهلاً» بمعنى: شيخاً وهذا وهم فالكهولة لا تعني الشيخوخة بل سن النضج، وكذلك فإن شكيب أرسلان في الحلل السندسيّة يقول إنه توفي سنة ٥٨٨هـ «وقيل قبلها» على الإطلاق، وفي هذا ما قد يوقع في اللبس.

«وكان في وقته شاعر الأندلس، بل شاعر المغرب غير مدافع ولا منازع . . ولم يكن يجري أحد مجراه، من فحول الشعراء في وقته، يعترف له بذلك الأكابر من أهل الأدب وتشهد له بقوة شعره وسلامة طبعه قصائده التي سارت أمثالاً، وبعدت على قربها منالاً».

وهناك اتّفاق على أنّه كان «شاعر الأندلس» في عصره، على نحو ما يؤكّد ابن خلكان ومن نقل عنه مثل ابن شاكر والذهبي وابن العماد الحنبلي.

أمّا ابن سعيد في رايات المبرّزين فإنّه يلقّبه بـ«بحتريّ الأندلس»، وأمّا لسان الدين بن الخطيب فإنّه ينوّه به أيما تنويه، وينقل عن ابن الأبار وغيره عبارات المديح التي صاغوها في ابن مجبر، وكذلك فعل المقري في نفح الطيب، وقد عدّ ابن مجبر ممّا ينبغي أن يباهي به أهل المغرب أهل المشرق.

واستشهد الحميري صاحب «الروض المعطار» في مواضع عدّة بشعر ابن مجبر مثلما فعل في مادّة شلب وقفصة وحمة مطماطة وشقورة وميورقة . . . الخ، وكان كثيراً ما يسبغ نعوت «وله في ذلك القصيدة المشهورة» أو «وله في ذكر ذلك قصيدة مليحة جدّاً» أو «وله في ذلك قصيدة غراء» . . . الخ.

ونستطيع، في ضوء هذه الرحلة عبر القرن السادس الهجري وعبر حياة وأعمال يحيى بن مجبر، أن نطمئنّ إلى أنّنا أمام شاعريّة ناضجة، تتّسم بالطبع والقدرة على تشخيص المواقف ورسم الانفعالات، وترتكز على نسيج شعريّ، سهل، استطاع أن ينفذ إلى نفوس الناس في عصره، فاستحوذ على إعجابهم. وفي اعتقادنا أنّ شعر ابن مجبر لا يزال قادراً على أن يمسّ شغاف قلوب القرّاء في العصر الحديث[1]، وبذا فإنّ القيمة الفنيّة لهذا الشعر تتجاوز القيمة التاريخيّة «الوثائقيّة»، وتدفع إلى ضرورة جمع وتحقيق ما سلم منه . . .

---

(١) تنحصر الإشارة إلى ابن مجبر في عدد محدود من الدراسات الأندلسيّة الحديثة فقد عرض له شكيب أرسلان بإيجاز شديد في الحلل السندسيّة ج٣ ص٤٩٨ كما ذكره ابن سودة في: دليل المؤرخ المغربي ص٤٣٠، وعبد الله كنون في: النبوغ المغربي وخير الدين الزركلي في الأعلام ج٨ ص١٥٢ ومحمد رضا كحالة في معجم المؤلفين ج١٣ ص٢٠٤ وعمر فروخ في: تاريخ الأدب العربي ج٥ ص٤٨٦ ـ ٤٩٠ ومحمد عبد الله عنان في: عصر المرابطين والموحدين ج٢، ود. حكمت الأوسي في: الشعر في عصر الموحدين ص١١٠، ص١٢٥ ود. فوزي عيسى في الشعر في عصر الموحدين ص١١٢ ـ ١١٥.
وأما المستشرقون فنشير من بينهم إلى نيكل في كتابه عن الشعر الأندلسي ص١٨٧ ـ ١٨٨، وفي مختارات من الشعر الأندلسي ص١٩٧ ـ ١٩٩، وأيضاً هنري بيريس في الشعر الأندلسي في القرن الثاني عشر.

لـمـحـة
عن شعر ابن مجبر

الموضوع والفنّ

الموضوعات الذاتيّة:

لا شكّ أنّ حكمنا على ابن مجبر لن يكون إلّا حكماً جزئيّاً، ينبع من أنّ النصوص التي بين أيدينا قليلة للغاية، بالقياس للكثير الذي ضاع، وفي ظلّ هذا الفهم فإنّنا سنجوس في الحديث عن شعر ابن مجبر بشيء كبير من الحذر.. وفي هذا القدر يحتلّ الغزل مكانة لا بأس بها، وكثير من نصوصه جيّاشة بصدق الإحساس، حتى في الحالات التي جاءت فيها المقاطع الغزليّة بمثابة التوطئة للمديح، مثل قوله:

دعا الشوق قلبي والركائبَ والركبا ... فلبّوا جميعاً وهو أول من لبّا

وظَلْنا نشاوى للذي بقلوبنا ... نخال الهوى كأساً ويحسبُنا شربا

إذا القضبُ هزّتها الرياحُ تذكّروا ... قدودَ الحسانِ البِيض فاعتنقوا القُضبا

ومنها:

يقولون داوِ القلبَ تَسْلُ عن الهوى ... فقلت لَنِعْمَ الرأْيُ لو أنَّ لي قلبا

أو يقول:

يا رشأ السِّدرِ ولو أنَّني ... أنصفتُ ناديتُ رشا الصدرِ

يا قاسيَ القلبِ ألا عطفةٌ ... تثني إليها رقّةَ الخَصْرِ

ملءُ فؤادي زفرةٌ تلتظي ... وملءُ عَيْني عبرةٌ تَجْري

فإذا تركنا الغزل وجدنا ابن مجبر يبدع في التعبير عن ذاته خاصة في قصيدته:

سَأَسْتَجدي صغيرًا من كبيرِ ... وأرغبُ في حصاةٍ من ثبيرِ

الموضوعات العامة:

تبرز، في مقابل الملمح الذاتي، تلك الموضوعات العامّة التي جعلت من الشاعر العربيّ في معظم الأحوال بمثابة المديح لنشرة رسميّة تتغنّى ببطولات الممدوح، وتقدّم مبرّرات لكلّ ما يبدر منه من سلوك. وسنترك الآن كلّ ما قيل عن دوافع المديح وتجسيد الممدوح للمثل العليا وما أشبه، لنقول إنّ شعر ابن مجبر، في مجموعه، شعر «غيري» كرّسه لأمراء وملوك عصره وبخاصة للمنصور بن يوسف بن عبد المؤمن الذي يقول فيه:

قلائد فتح كان يذخرُها الدهرُ ... فلما أردتَ الغزو أبرزها النصرُ

فها هي مذ جدَّتْ ركابُك تنبري ... سراعاً فمن أفراحها الشفعُ والوترُ

فدونكَها منسوقةً فلشدَّ ما ... تسابق فيها نحوك البَرُّ والبحرُ

هو الفتح يا مولاي ما فيه مِرْيَةٌ ... ولا لليالي في تعذّرِهِ عُذْرُ

وهذا الشعر يذكّر من بعض الوجوه بالمبدعين من شعراء المشرق في فنّ المديح، من أمثال أبي تمّام والمتنبي أو بالمجيدين في هذا المضمار من شعراء الأندلس، من أمثال ابن دراج القسطلي، وربّما صحّ القول بأن البيت الأوّل هنا هو أوّل القصيدة، لا لأنه مصرع فحسب، بل لأنه يمثّل كذلك نقطة انطلاق متألّقة لمدحة تستلهم التقاليد الفنيّة المتوارثة.

ومن هذا النمط العالي قوله:

بشراي هذا لواءٌ قل ما عُقِدا ... إلّا ومد له الروحُ الأمينُ يدا

وأقبل النصرُ لا يعدو مناحيه ... فحيث ما قصدتْ راياتُهُ قصدا

واستقبلته تباشيرُ الفتوحِ فقدْ ... كادت تكون على أكتافه لبدا

وقرّب الفَلكُ الدوارُ بغيتَه ... فلو تناول بعض الشّهبِ ما بعُدا

إمام جيشٍ أراد اللّهُ نصرتَه ... فأرسلَ الملأ الأعلى له مددا

إني لأحكمُ بالنصر العزيز له ... وإن سكتُّ فإنَّ الوحيَ قد شهِدا

ونظن أنّ هذه الأبيات بداية قصيدة مدحيّة لم يشأ ابن مجبر ـ وحسناً فعل ـ أن يبدّد شيئاً منها في افتتاحيات لا طائل من ورائها في موقف لا يتطلّب تمهيداً بالغزل أو نحوه، ويشبه ذلك قوله:

أسائِلكم لمن جيشٌ لَهَامُ ... طلائعه الملائكةُ الكِرامُ

أتت كتبُ البشائر عَنْهُ تترى كما يتحمل الزهرَ الكِمَامُ

تنمُّ ولم تفضّ ولا عجيب أيحجب نفحة البدرِ الختامُ

كأنَّ النصرَ أضحكها ثغوراً فللأيام عنهن ابتسامُ

وقد أحسن ابن مجبر استغلال العنصر الديني في هذه القصيدة حتّى أترعت الأبيات بالإشارات للملائكة الكرام ولكتاب الله والبيت الحرام والمسجد الأقصى . . . إلخ .

وإذا كان ابن مجبر قد أعطى للمديح هذا القدر الموفور من الاهتمام، فإنّ براعته في الوصف لا تقلّ عن براعته في المديح. وقد نظلم الشاعر حين ندرج الوصف تحت تصنيف الموضوعات «الغيريّة».

وإنّما هو تصنيف عامّ (ومن المؤكّد أنّ في كلّ الفنون الغيريّة قدراً ما من الذاتيّة) ينبع من أنّ العناية في الوصف عنده ترتكز على اللوحات الخارجيّة، وقليلاً ما تتغلغل إلى الوجدان، وتستعير من الأحاسيس البشريّة المحسوسة المرئيّة.

ولعلّ من أبرز النصوص المعبرة عن منزع ابن مجبر في الوصف قوله في تلك المقصورة العجيبة التي صنعت للمنصور وفقاً لحركات هندسيّة تجعلها تهبط مستقرّة عند استقراره بالمسجد، وترتفع لانصرافه عنه، ويذكرون في ذلك أنّ الشعراء تباروا في المدح، مهنّئين بذلك الاختراع البارع دون أن يتطرّق واحد منهم إلى وصفه، حتّى قام ابن مجبر فألقى مدحته التي أوّلها:

أعلَمْتَنِي أُلْقِي عصا التسيارِ في بلدةٍ ليست بذاتِ قرارِ

ومنها في وصف المقصورة:

طوراً تكونُ بما حوته محيطةً فكأنّها سورٌ من الأسوارِ

وتكونُ طوراً عنهم مخبوءةً فكأنّها سرٌ من الأسرارِ

وكأنّها علِمَتْ مقاديرَ الهوى فتصرفت لهُمُ على مقدارِ

فإذا أحسّت بالإمامِ يزورها في قومهِ قامتْ إلى الزوّارِ

يبدو فتبدو ثمّ تَخْفَى بعده كَتَكوُّنِ الهالاتِ للأقْمارِ

فكان أنِ استحوذ على الإعجاب لتفرّده بوصف المقصورة على هذه الصورة التي قد لا تعجب المحدثين كثيراً، لأنّها وصف خارجيّ بحت، ولولا الصور المتتابعة فيه لكان الموضوع من جنس ما يتطرّق إليه (النظم)، ومع ذلك

فإنّ هناك عنصراً مهمّاً هنا هو الحركة، فلم يتوقف ابن مجبر عند جزئيّات المقصورة ليرسم لها صوراً مرئيّة، وإنّما نجح في أن يجعل هذه الصور مترابطة فيما يشبه (السيناريو).

ولابن مجبر أبيات في وصف الخيل جديرة بأن تدرج ضمن غرر الشعر العربي الوصفي، منها:

لـه حـلبـةُ الـخـيـل الـعـتـاقِ كـأنّـهـا   نَشاوى تهادت تطلب العزفَ والقصفا

عرائسُ أغنتها الحجولُ عن الحِلى   فلم تبغِ خلخالا ولا التمستْ وقفا

فـمـن يَـقَـقٍ كـالـطِّرس تـحـسـب أنّـه   وإن جـردوه فـي مـلاءتـه الـتـفـا

وأبـلـقَ أعـطـى الـلّـيـلَ نـصـف إهـابـه   وغار عليه الصبحُ فاحتبس النِّصفا

وَوَرْدٍ تـغـشّـى جـلـدَهُ شـفـقُ الـدجـى   فـإذ حـازه دلّـى لـه الـذيْـلَ والـعُـرفـا

وأشـقـرَ مـجّ الـراحَ صـرفـاً أديـمُـه   وأصفرَ لم يمسح بها جلدَه صِرْفا

وأشـهـبَ فـضّـيَّ الأديـمِ مُـدَنَّـرٍ   عليه خطوطٌ غيرُ مفهومةٍ حرفا

كـمـا خـطـط الـزاهي بـمُـهْـرَق كـاتـب   فَـجَـرَّ عـلـيـه ذيـلَـه وهـو مـا جـفّـا

تـرى كـل طِـرْفٍ كـالـغـزال فـتـمـتـري   أظبيا ترى تحت العَجاجة أم طِرْفا

إنّنا هنا أمام سلسلة متتابعة من الصور التي يمكن لمعظمها أن يستقلّ عن غيره (اليقق ـ الأبلق ـ الورد ـ الأشقر ـ الأشهب) ولكن هناك وحدة ما تصنع من الأبيات لوحة (كلاسيكيّة) جمعت كلّ أشكال الخيول، ورسم كل لون منها بحيث يكون الشعر «لوحة ناطقة»، وعلى الرغم من تتبّع الشاعر لكلّ لون على حدة، فإن هناك مدخلاً وخاتمة للوصف، يتمثّل ذلك في صور كلّيّة لهذه الخيول وهي تتهادى منتشيّة وكأنّها «تطلب العزف والقصفا» وهي جميعاً أشبه بـ«عرائس أغنتها الحجول على الحلى»، حتّى إذا ما انتهى الوصف الجزئيّ كانت اللوحة الختاميّة التي تعكس اندفاع هذه الخيول في عدوها المحموم، وهي تنثر حولها الغبار، فلا يعرف الإنسان على وجه اليقين أهي خيول تعدو أم ظباء تولي الأدبار وسط العجاج...

ونشير كذلك إلى مقطوعته في وصف صنوبرة، وإلى صورة لزجاجة خمر سوداء قيل إنه صنعها ارتجالاً، وإلى لوحة لفارس يعبر الحقول وهو يحمل راية بيضاء:

تـدل عـلـيـه إذ يـخـفـي ويـبـدو   كـخـيـط الـفـجـر دلّ عـلـى الـصـبـاح

وأمّا التصوير بمعناه العامّ فإنّه سمة أساسيّة عنده، كما أنّه سمة أساسيّة في كلّ شعر جيّد، ولكن تختلف منازع الشعراء في تكييف الصورة بحسب طاقاتهم واتجاهاتهم، والصورة عند ابن مجبر تتميز عادة بأنّها لا تأتي مجرّد تشبيه شيء بشيء آخر، وإنّما تفتّش عن لوحة تحمل الإيحاء الذي يجد هذا التناظر بين طرفي التشبيه، فهو مثلاً ينصح بألّا تبادر صديقك بالتحوّل عنه إذا ما لمست منه نبوا:

وعاتِبْه لكنْ رويداً كما تعضُّ على الطفلِ عند اللَّعِبْ

وهو يشبه الممدوح في بأسه وصدق سريرته بأنّه:

بحرُ طمَى والبأسُ من أمواجِهِ صبح بدا والحقُّ من أضوائِهِ

ويصوّره في انقضاضه على عدوّه وما أشاعه فيه من ذعر وهلع بـ:

فكأنّه سبع على أشلائه

ومثل هذا كثير عن ابن مجبر، وفي كل قصيدة له لآلئ نفيسة من هذا الطراز.

سمات فنيّة عامة:

من المرجّح أنّ القارئ للصفحات السابقة قد كوّن فكرة ما، ولو مجملة، عن الطابع الفنّي الذي يسيطر على النتاج الشعري لابن مجبر، وتعرّف في الوقت ذاته على العامل الجوهريّ الذي يحول دون الوصول إلى رؤية واضحة حوله، في ظلّ غياب الديوان، وضياع معظم القصائد.

على أنّه من الممكن استخلاص مجموعة من السمات الفنّيّة العامّة عنده، ونبدأ بمقطوعة له تقول:

سأشكو إلى الندمان خَمْرَ زجاجةٍ تردّت بثوبِ حالكِ اللونِ أسحَمِ
نصبُّ بها شمسَ المدامة بيننا فتغربُ في جُنْحٍ من الليل مظلمِ
وتجحدُ أنوار الحُمَيّا بلونها كقلبِ حسودٍ جاحدٍ يدَ منعِمِ

ولهذه الأبيات حكاية تقول إن ابن مجبر قالها ارتجالاً في جلسة كان نديمه فيها إنساناً جاحداً لما فعله بإزائه من الخير، وأمامهما زجاجة سوداء بها خمر، فطلب منه ذلك الإنسان الحاقد أن يصف ما أمامهما في الحال فارتجل ابن مجبر هذه المقطوعة.

ومن يتتبّع ما سلم من شعر ابن مجبر يجد عدة مقطوعات من هذا الطراز،

وهذا في حدّ ذاته أمر يستحقّ التنويه لأنّه يكشف عن حدّة الشاعريّة وتوهّج الذهن وعظم الدربة بأصول الشعر، لكن الغالب على الشعر المرتجل أنّ صاحبه يحرص فيه على إقامة الوزن والقافية، ويأتي هذا على حساب الصور وأناقة التعبير ودقّته، في حين أنّ ابن مجبر راعى أن تتضمنّ الشطرة الثانية من كلّ بيت صورة فيها حركة تجسّم المعنى، وتضفي عليه تلك الرشاقة المحبّبة بما تصخب به من ألوان وحيويّة، وإذا ما صحّ أن المقطوعة قيلت ارتجالاً، فإنها تكشف عن مقدرة عجيبة على السخرية المقنّعة، المتمثّلة في الشطرة الأخيرة، بما تتضَمّنه من تعريض بهذا النديم الخبيث الطويّة.

وله مثال آخر يقول فيه:

رحل الشبابُ وما سمعتُ بعَبْرَةٍ ... تجري لمثل فراق ذاك الراحلِ

قد كنت أُزْهَى بالشبابِ ولم أَخَلْ ... أنَّ الشّيبة كالخضابِ الناصلِ

ظلٌّ ضفا لي ثمّ زال بسرعة ... يا ويح مغْتَرٍّ بظلٍّ زائلِ

إن شئتَ ظلاً لا يزول بحالة ... فاعمدْ إليه ذي الإمامِ العادلِ

ولسنا نعلم إن كانت هذه الأبيات مقطوعة قائمة بذاتها أم مستلّة من قصيدة في المديح، وإن كنّا نرجّح الرأي الأخير، وهي على كلّ حال ذات بداية محورها رحيل الشباب الذي كان يزهى به، ولم يتكشّف له أنّه «كالخضاب الناصل» أي ـ أنّه زائل لا محالة ـ إلّا متأخراً، ثمّ يأتي التعريج على الممدوح ذي الظلّ الذي لا يزول. ولذا فإن الحديث عن الشباب الراحل له غرض يتعلق بفنّ المديح، ولكنّ الربط بين «المقدمة» وموضوع القصيدة جاء مقنعاً إلى حدّ ما، لقد بكى على الشباب الراحل، واكتشف مقدار ما كان يسبح فيه من وهم عندما ظنّ أنّه لا يزول، وإذا بأمره لا يزيد عن مجرّد خضاب سرعان ما يحول... وما أسهل أن نقول بأنّ الفكرة عاديّة، نعم إنّها عاديّة ومألوفة شأنها شأن مئات الأشياء التي نطالعها ولا نرى فيها جديداً، ولكن من أوجه البراعة أن نقرأ للشاعر أبياتاً نحسّ بأنّها عبّرت عما نحسّه وما نسلّم به، وليس عليه بالضرورة أن يبتكر من المعاني ما يبهرنا أو يرينا إلى أيّ حدّ كنّا بعيدين عن إدراك ما يقول.

والحقّ، أن نسيج المعاني عند ابن مجبر ليّن الملمس، مألوف الألوان، ولا نظنّ أنّه زعم لنفسه أو للناس أنّ لديه شيئاً عجيباً يريد أن يقوله، والمهمّ عنده أن يرسم الأفكار البسيطة في صور وألفاظ وتراكيب تتّفق وطبيعة هذه الأفكار، وأن يشكّل ذلك في صياغة تنسب له وتقترن به.

أمّا القصائد فإنّ لدينا منها عدداً ضئيلاً يتّسم بكيان متماسك، بمعنى أنّه لم تسقط منه مقاطع كثيرة بحيث يفقد النصّ وحدته، ومنها قوله:

بعلاكُمْ وهو حسبُ المطنبِ   عرف المشرقُ فضلَ المغربِ

ونصّ آخر أوّله:

من لم يؤدبه تأديبُ الكتاب فما   له بغيرِ ذُبابِ السيفِ تأديبُ

وثالث مستهله:

ثاب العزاء وحان الأخذ بالثار   قد عاد في غابه الضرغامة الضاري

وأيضاً:

سأستجدي صغيراً من كبير   وأرغب في حصاة من ثبير

وأطول النصوص التي وصلت إلينا مستهلها:

أتراه يترك الغزلا   وعليه شب واكتهلا

وأصلها يقع في مائة بيت وسبعة (بحسب قول ابن خلكان)، أما ما سلم منها فهو دون الثلث.

وهناك قصيدة أولها:

أسائلكم لمن جيش لهام   طلائعه الملائكة الكرام

وآخر[1] ما نشير إليه من قصائد واحدة مطلعها:

عدوكم بخطوبِ الدهرِ مقصودُ   وأمركم باتصالِ النصرِ موعودُ

ومن السهل أن يلحظ الإنسان عدم لجوء الشاعر للمقدمات إلّا في أحوال قليلة، ومن بين ما ذكرنا قصيدة واحدة في غير المدح (ثاب العزاء وحان الأخذ بالثأر) تبدو وقد احتدمت المشاعر، وبلغت النفوس ذروة التوتّر، وهي بداية جيدة تتناسب وموضوع القصيدة.

ونكتفي بالتعليق على الدالية التي ذكرناها منذ قليل، وهي ـ شأن معظم قصائد ابن مجبر ـ في مدح المنصور تهنّئه وقد انتصر على أعدائه، واستولى على

---

(١) لم نذكر هنا قصيدته التي أولها:

قلائد فتح كان يذخرها الدهر   فلما أردت الغزو أبرزها النصر

لأن أبياتها غير متتابعة، وما لدينا منها (١٣) بيتاً أربع مقطوعات متناثرة.

مدينة قابس، وبذا تهيأ للشاعر موضوع بطولي، فقد سحق العدو، ولم يكن من سبيل أمامه إلّا الفرار:

ألقى السلاحَ وولّى يبتغي أمداً   ينجيه وهو مَرُوع القلبِ مَفْؤودُ
ما مرّ يوماً بباب ظنّه سبباً   إلى التخلصِ إلّا وهو مسدودُ

وأمّا رجاله فقد:

ولّوا فلا صاحبٌ عن نفس صاحبه   يغني ولا والد يرجوه مولودُ

على أنّ الشاعر لا يكتفي بالمقابلة بين موقفي النصر (للممدوح) والهزيمة الساحقة (للخصم) وإنّما يدعم ذلك بإبراز الجانب الديني، فهنا نصر للحقّ على الباطل، ومناقب شتّى من تقى وصلاح وسند من الشرع في مقابل المروق وعصيان كلمة الله:

من ليس مُعْتَقِداً إيجابَ طاعتكم   فليس يُغْنيه إيمانٌ وتوحيدُ
رضاكمُ الدينُ والدنيا وعد لكُمُ   ظلّ ظليلٌ على الأيّامِ ممدودُ

والتفصيلات التي تعضد هذه الرؤية من الكثرة بمكان، فالممدوح (سليمان في الملك العظيم وفي طول التهجد داود) وهذا النصر (قد أبهج الدين والدنيا) لأنه نصر (عند الله محمود)؛ أمّا العدو فإنّه (عن طريق الحقّ مطرود) وهو (أعمى ونور الهدى باد) وفي ضيع هؤلاء الأعداء ما يذكّر بأهل الشرك ممّن حاق بهم الهلاك:

لجّتْ ثمُودٌ وعادٌ في ضلالهِمُ   ولم يدَعْ صالحٌ نصحاً ولا هودُ

وهذا النهج يتّفق وأسلوب «القصيدة ـ الخطبة» إن صحّ التعبير، أي القصيدة التي ترمي إلى إطراب الأسماع في المقام الأوّل، ولكن هذا قد يأتي على حساب الفنّ، أمّا ابن مجبر فإنّه يوازن بين إثارة نشوة الطرب وسبك النصّ في صياغة تُظهِر مدى براعته وطول تمرّسه. انظر مثلاً إلى قوله:

لم يصغِ للوعظِ لا قلباً ولا أذناً   وكيف تُصغي إلى الوعظِ الجلاميدُ

تجد أنّ هذا التحديد: لا قلباً ولا أذناً، ثم السؤال الاستنكاري وسائل فنيّة اتّكأ عليها الشعر فبعثت الحيويّة في بيت كان من الممكن ألّا يخلّف أثراً يذكر لو صيغ صياغة تقريريّة، واقرأ أيضاً هذا البيت:

أضحت على فضله الأيّامُ تحسدُهُ   إنّ النّبيهَ الرفيعَ القدرِ محسودُ

تجد البراعة في الانتقال من الخاصّ ـ الممدوح ـ إلى المطلق: كلّ إنسان أوتي الذكاء والرفعة، ومثل هذه الوسائل الفنيّة كثير في شعر ابن مجبر.

أمّا «الصنعة» بمفهومها الشائع، أي بمعنى التشكيل البديعي، فإنّها قليلة عند ابن مجبر، وهو لا يلجأ إليها إلّا لغاية جماليّة، وفي القصيدة (عدوّكم بخطوب الدهر مقصود) نصادف عدداً منها مثل:

الشقاء/ السعادة (في البيت الثاني)

لا قلباً/ ولا أذناً (في البيت الخامس)

وريده/ مورود (في البيت الثامن)

ما مر يوماً بباب ظنّه سبباً إلى التخلّص/ مسدود (البيت الثاني عشر).

وهبه عاش/ أليس الموت.

في قطع خضرائهم/ أحداثه السود (البيت الثالث عشر)

رضاكم الدين/ والدنيا (البيت الرابع والعشرون).

وليس في كلّ الأمثلة السابقة، على كثرتها، أثر للتكلّف لأنّ طبيعة التجربة تقوم على المقابلة بين حالتين متناقضتين من نصر لإمام عادل يحكم باسم الشرع وهزيمة لعدوّ آبق آثر الضلالة على الهدى.

وقد أشرنا إلى كثرة المعاني الدينيّة، وما لها من أثر في إشاعة الحمية، وفي القصيدة السابقة لجأ الشاعر أحياناً إلى الاقتباس مباشرة من القرآن الكريم كما في قوله:

ولّوا فلا صاحبٌ عن نفس صاحبه يغني ولا والد يرجوه مولودُ

والذي جاء إليه من الآيات: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٦].

ولا تكاد تصادف هذه القصيدة، بل ولا في كل شعر ابن مجبر ألفاظاً غريبة أو غامضة أو غير صحيحة من حيث اللغة. فالرجل بطبيعته يؤثر الوضوح واليسر، ويلجأ للأسلوب الطيّع السلس الرشيق، بل لا يرى بأساً في أن يستعمل الجمل العاديّة المتداولة ضمن تعبيره الشعري، فها هي الزوجة ـ الحبيبة ـ تسأله:

أَمَا عَطَفَ الفقيهُ وأنت تَشْكو له شَكْوى العليلِ إلى الطبيبِ؟

وهو يستهلّ مدحه له بقوله:

من لم يؤدّبه تأديب الكتاب فما له بغير ذُباب السيف تأديبُ

إنّ الخلافةَ لا تشكو بمعضِلة والحافظُ اللّهُ والمنصورُ يعقوبُ

ويقول في قطعة رثائيّة:

قيل لي أودى سعيدُ بنُ عيسى يرحم اللّهُ ابن عيسى سعيدا
أكلته الحربُ شيخاً كبيراً وقديماً قد أرضعَتْه وليدا

ومن المسلّم به أن المعاني هنا قريبة الغور، وأن الصياغة جاءت موائمة لها؛ بمعنى أنّها تخلو من الجزالة والصقل، ولكنّها على كلّ حال صياغة عذبة رشيقة، تعتمد في تأثيرها على مجموع القصيدة لا على جزئياتها؛ بمعنى أنّ استحساننا لشعر ابن مجبر لا يقوم على الإعجاب بما كتب بيتاً بعد بيت، بل من خلال القصيدة أو المقطوعة بكل مكوّناتها من حيث الموضوع واللغة والصور والموسيقى.

ابن مجبر وفنّ التوشيح

لسنا نعرف مصدراً واحداً تحدّث عن علاقة ما لابن مجبر بفنّ التوشيح ولا نعثر على نصّ واحد منها منسوب له في عشرات المجاميع المطبوعة التي تتناول هذا الفن، مثل دار الطراز[١]، وتوشيع التوشيح، وعقود اللآل في الموشّحات والأزجال، والعذارى المائسات في الأزجال والموشّحات[٢]، كما لا نجد له ذكراً في كل المجموعات الحديثة ـ مثل مجموعة يا فيل[٣]، وديوان الموشّحات الأندلسيّة الذي صنعه د. سيد غازي والمستدرك عليه[٤] ومجموعة يلس وأمقران. . . إلخ، فضلاً عن الدراسات الحديثة حول هذا الفن.

ولا نجد إلّا تعليلاً واحداً لهذا الغياب، وهو أنّ ديوان ابن مجبر في عداد الكتب الضائعة في الوقت الحاضر، وإن كنّا لسنا على ثقة من أنّ ديوانه كان يضمّ موشّحاته، لأنّ غالبيّة الشعراء الوشّاحين كانوا لا يثبتون موشّحاتهم في دواوينهم على اعتبار أنّها نمط خاصّ، يأتي قريباً من مدوّنات الغناء والموسيقى، لا الشعر الفصيح، كما أن كثيراً من مؤرّخي الأدب مثل ابن بسّام في الذخيرة، والفتح بن خاقان في قلائد العقيان، ومطمح الأنفس، وصفوان بن إدريس في «زاد المسافر» لم يذكروا شيئاً قطّ عن الموشّحات، إذ إنّ العادة لم تجر بإيرادها في الكتب المخلّدة، على حدّ قول عبد الواحد المراكشي صاحب «المعجب».

وقد قادنا البحث في المجموعات المخطوطة للموشّحات إلى الكشف عن نصّ واحد لابن مجبر، سوف نرى أنّه من الجودة بمكان ممّا يدلّ على تمكّنه، فأين ذهبت موشّحاته الأخرى؟

---

(١) طبعة د. جودت الركابي وانظر دراسة حوله في كتابنا: دراسات في الشعر الأندلسي والوسيط، وأيضاً كتابنا: الموشحات الأندلسيّة، ومدخل لدراسة الموشحات والأزجال. (والكلام هنا لمحمد زكريا عنان، مرجع هذا الكتاب).

(٢) طبع هذا الكتاب في أوائل هذا القرن.

(٣) راجع كتابنا: دراسات في الأدب الأندلسي والوسيط. (والكلام لعنان).

(٤) جمعنا وتحقيقنا، وظهرت منه طبعتان ونعد طبعة ثالثة مزيدة ومنقحة. (والكلام لعنان).

والمجال لا يتّسع للإسهاب في الحديث عن الخلفيّة العامّة للموشّحات لأنّ لها، وقبل عصر ابن مجبر، تاريخاً حافلاً، بدأ مع أخريات القرن الثالث الهجري على يد شعراء مثل مقدّم بن معافي القبري ومحمد بن محمود القبري الضرير (وكلاهما ينتمي إلى قبرة: قرية قرب قرطبة) وجاء بعدهما ابن عبد ربّه.

ثم يظهر الجيل الثاني والذي تكشف عنه عبارة ابن بسّام: «ثمّ نشأ يوسف بن هارون الرماديّ، فكان أوّل من أكثر فيها من التضمين في المراكيز، بضمن كلّ موقف يقف عليه في المركز خاصّة، فاستمرّ على ذلك شعراء عصره كمكرم بن سعيد وابني أبي الحسن، ثمّ نشأ عبادة»[١].

وعبادة الذي يتكلّم عنه ابن بسّام هو عبادة بن ماء السماء، وقد اعتبره واضع أسس التوشيح أو بحسب عبارته:

«وكان أبو بكر ـ عبادة ـ في ذلك العصر شيخ الصناعة وإمام الجماعة، . . وكانت صنعة التوشيح التي نهج أهل الأندلس طريقتها ووضعوا حقيقتها غير مرقومة البرود ولا منظومة العقود، فأقام عبادة هذا منادها، وقوم ميلها وسنادها فكأنّها لم تسمع إلّا منه، ولا أُخِذَتْ إلّا عنه»[٢].

ويظهر بعده ابن عبادة القزاز الذي يصفه ابن فضل الله العمري بأنّه «صاحب الموشّحات. . . والروائع التي لا عيب في درّها إلّا أنّه لم يذخر بالخزن»[٣] وابن ارفع رأسه ـ من شعراء عصر ملوك الطوائف ـ وابن اللبانة الداني.

ونصل إلى جيل آخر ينبغ في القرن السادس الهجري، ويجعل من الموشّحات فنّاً محبّباً تترنّم بألحانه قلوب الناس في الأندلس، وتمتدّ أصداؤه إلى المغرب، ثم إلى مصر وبقيّة العالم الإسلامي، ومن أشهر وشّاحي هذه الفترة الأعمى التطيلي (أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن هريرة القيسيّ). ويأتي عنه في «المقتطف من أزاهر الطرف»:

«ثمّ جاءت الحلبة التي كانت في مدّة الملثّمين فظهرت لهم البدائع، وفرسا دهان حلبتهم الأعمى التطيلي ويحيى بن بقي. سمعت غير واحد من أشياخ هذا الشأن بالأندلس يذكرون أنّ جماعة من الوشّاحين اجتمعوا في مجلس بإشبيليّة فكان

---

(١) الذخيرة القسم الأول ج٢.

(٢) نفسه.

(٣) مسالك الأبصار، مخطوطة باريس، ورقة ١٣١.

كلّ واحد منهم قد صنع موشّحة، وتأنّق فيها، فقدّموا الأعمى للإنشاد، فلمّا افتتح موشّحته المشهورة بقوله:

ضـاحـك عـن جـمـان ... سـافـر عـن بـدر

ضـاق عـنـه الـزمـان ... وحـواه صـدري

خرق ابن بقي موشّحته وتبعه الباقون»[١].

وينتمي ابن مجبر إلى تلك المرحلة التي كانت لا تزال فيها موشّحات الأعمى التطيلي على كلّ لسان (وسنشير إلى دليل على إعجابه بموشّحات التطيلي) وقد أشرنا في أثناء عرضنا لحياته إلى اتصاله في بلنسيّة ببلاط محمد بن سعد بن مردنيش ملك شرقي الأندلس وكان وزيره ابن مالك السرقسطي شاعراً أديباً وشّاحاً، ومن عيون موشّحاته قوله:

حـث كـأس الـطـلا عـلـى الـزهـر ... وأدرهـا كـالأنـجـم الـزهـر

أنـسـيـم يـفـوح أم عـطـر

وغـصـون أمـالـهـا الـقـطـر

تـتـثـنـى ومـا بـهـا سـكـر

وطـيـور نـطـقـن بـالـسـحـر ... حيـن هـبّ النسيـم في السـحـر[٢]

وكل الدلائل تقطع بأنّ شاعرنا ابن مجبر كان على صلة قويّة بابن مالك السرقسطي هذا، كذلك نشير إلى اسم وشّاح آخر سكن مرسيّة وتردّد على بلاط ابن مردونيش هو ابن موهد، ويذكر له ابن سعيد في المغرب موشّحة جميلة، كما برع في مرسيّة ابن حزمون وكان شاعراً ساخراً «ركب طريقة أبي عبد الله بن حجّاج البغدادي.. فأربى عليه، وذلك أنّه لم يدع موشّحة تجري على ألسنة الناس بتلك البلاد إلّا عمل في عروضها ورويّها موشّحة على الطريقة المذكورة».

وممّن عاصروا ابن مجبر واشتهروا في الشعر والتوشيح الأديب العالم الوزير أبو بكر بن زهر (الحفيد) وفيه يقول ابن دحية:

«.. والذي انفرد شيخنا به، وانقاد لتخيله طباعة وأصارت النبهاء حوله وأتباعه الموشحات، وهي زبدة الشعر وخلاصة جوهره وصفوته»[٣] والحقّ أنه بلغ

---

(١) المقتطف ٢٥٦.

(٢) ترد في جيش التوشيح.

(٣) المغرب، ج٢ ص٢٦٢.

فيها الذروة من الإجادة والبساطة المتناهية التي تلائم الغناء وتسهل فيها الألفاظ وتنجلي الصور ويصفو النغم إلى أقصى درجات الصفاء والرقّة، من طراز:

حــي الــوجــوه الــمــلاحــا وحــــي زرق الــعــيـــون

هــل فــي الــهــوى مــن جنــاح

وفــــي نــــديــــم وراح

رام الــنــصــوح صــلاحــي

وكــيــف أرجــو صــلاحــاً بــيــن الــهــوى والــمــجــون

والخلاصة أنّ ابن مجبر عاش في جوّ كانت الموشّحات قد احتلّت فيه مكانة عالية من الشهرة إذ شاعت بين عامّة أهل الأندلس.

ثم ما لبثت أن تطوّرت وارتقت حتّى فُتِنَ بها عليّة القوم واحتلت مكاناً أثيراً في بلاط الملوك والأمراء، وتطرّقت إلى سائر فنون الشعر من مديح وغيره، وإن بقيت موضوعات الغزل والوصف واللهو غالبة عليها.

وهذه اللوحة عن الموشّحات تفضي إلى قصر الحديث على موشّحة بعينها هي تلك التي عثرنا عليها من نظم ابن مجبر والتي تبدأ هكذا:

يــا قــلــب مــا لــلــهــوى ومــا لــك ومــا لــمــن لا مــنــي ومــا لــي

أســرفــت يــا قــلــب فــي هــواكــا

فــاجــنــح إلــى ســلــوة صــبــاكــا

تــنــال مــن أمــره فــكــاكــا

وأنــت يــا يــا عــاذلــي كــفــاكــا

لــو أنّ حــالــي يــكــون حــالــك عــلــمــت مــا حــمّــل احــتــمــالــي

إنّ الموشّحة، كما هو معروف، من أكثر ألوان الشعر «غنائيّة» إن لم تكن أكثرها على الإطلاق، ومن ثمّ كانت الموضوعات الغزليّة والوصفيّة والخمريّة شديدة الذيوع فيها، وقلّما عالجت الموضوعات التقليديّة - خاصّةً الهجاء والرثاء (وإن كانت هناك بعض نماذج قليلة عالجت هذين الغرضين)؛ أمّا المديح فإن له وضعاً خاصّاً يحتاج إلى طول شرح، ولو شئنا الاقتصار على الإشارة الموجزة فإنّنا نقول إنّ المدح تسلّل حقّاً إلى عدد كبير نسبيّاً من الموشّحات ولكنّه كان يقتصر في العادة على مقطع صغير أو مجرّد ذكر اسم الممدوح في الخرجة، ونادراً ما نجد

موشّحة مكرّسة بصورة أساسيّة للمدح، كما هو الحال في القصائد.

وإذن فإنّ موشّحة ابن مجبر تنهج نهج غالبيّة الموشّحات لا بغنائيّتها فحسب، بل وأيضاً بعزفها على أوتار المحبّ المدله الذي يقاسي لواعج الهوى، ومع ذلك لا يكفّ اللائمون عن تصويب سهامهم.

ثم تمضي الموشّحة تاركة توجيه الخطاب إلى اللائم لتلتفت لهذا المحبوب الذي يزداد في دلّه، ومضى ينكث عهده، وهو لا يزال يحاول أن يجعل قلبه يرعوي، ولكنه لا يطيع النّصيحة.

. . . وهكذا حتى تقترب الموشّحة من نهايتها، وهنا نجد هذه الالتفاتة الرشيقة التي تصدح فيها أحاسيس النشوة والوله والمرح:

ما ضر أن لو لثمت فاه

من سامني الخسف في هواه

فقلت كيلا أعدو رضاه

علّ حبيبي وقع ببالك　　أنّ بغيرك شغلت بالي؟

والخرجة تأتي مسبوقة بـ«فقلت. . .»، وهذا يأتي متّسقاً مع القاعدة المتّبعة في معظم الموشّحات الأندلسيّة، وهي القاعدة التي ألمع إليها ابن سناء الملك في قوله:

«والمشروع بل المفروض في الخرجة أن يجعل الخروج إليها وثباً واستطراداً، وقولاً مستعاراً على بعض الألسنة، إمّا ألسنة الناطق أو الصامت. . . ولا بدّ في البيت الذي قبل الخرجة من: قال أو قلت، أو غنّى أو غنّيت أو غنّت»(١).

على أنّ هذه ليست من تأليف ابن مجبر وإنّما استعارها من موشّحة مشهورة للأعمى التطيلي مستهلّها:

يا نازح الدار سل خيالك　　ينبيك أن صرت كالخيال

وتأتي نهايتها هكذا:

لما اجتليت الزمان قربه

ضمن بعض الأحاديث عتبه

إذ ظنّ أنّي سلوت حبّه

(١) مقدمة دار الطراز، وانظر كتاب: الموشحات الأندلسيّة ص٢٨٢.

غــنــيــه أســتــمــيــل قــلــبــه

عــلــك حــبــيــبــي خــطــر بــبــالــك   أنّــي بــغــيــرك شــغــلــت بــالــي؟

ولا يكاد يوجد خلاف بين الخرجتين، أو بمعنى أدقّ أن ابن مجبر لجأ إلى إنهاء موشّحته بهذا المقطع الختاميّ المستلّ من الأعمى التطيلي، وهذا الصنيع مألوف في الموشّحات، وتوضّحه عبارة تأتي في مقدّمة دار الطراز تقول:

«وفي المتأخّرين من يعجز عن الخرجة، فيستعير خرجة غيره، وهو أصوب رأياً ممّن لا يوفّق في خرجته بأن يعربها ويتعاقل ولا يلحن، فيتخافف بل يتثاقل».

والمهمّ أن ابن مجبر نجح في جعل الخرجة المقتبسة تتجانس وبقيّة الموشّحة، بل نجح في أن يقدّم نصّاً بسيطاً في كلّ شيء: في أفكاره، وأدائه، وموسيقاه، ولغته. وهذه البساطة هي جوهر الجمال هنا، فإنّ هذه الموشّحة تصلح للغناء في الوقت الحاضر كما صلحت للغناء منذ ثمانمائة سنة، والذي يستمع إليها اليوم لن يجد فيها كلمة واحدة مما يستعصى على الفهم، ولن يصادف صورة لا تطرب لها الأذن وتتقبّلها المشاعر.

منهج التحقيق

المتّفق عليه في المصادر أنّ ابن مجبر خَلّف ديواناً كبيراً، ولم تكن له مؤلَّفات أخرى غيره، والضبي يقول: «وقد رأيت شعره مجموعاً في سفرين ضخمين»، كما نصّ ابن الأبار على أنّ شعر ابن مجبر «مدوّن متداول، وقد حمله عنه أبو القاسم بن حسان». كذلك نرى في مطبوعة الإحاطة أنّ «شعره كثير مدوّن، ويشتمل على أكثر من سبعة آلاف وأربعمائة بيت». بينما يقول المقرّي أنّ الديوان «يشتمل على تسعة آلاف وأربعمائة بيت».

وعرف ديوان ابن مجبر في المشرق، وها هي عبارة ابن خلكان تنصّ على أنّه نظر فيه فوجد أكثر مدائحه في الأمير يعقوب بن عبد المؤمن، وحرّفت هذه العبارة فمحمّد عبد الله عنان يسوق في موسوعته عن عصر المرابطين والموحّدين: «وقد ذكر لنا ابن خلكان أنّ مدائح ابن مجبر للمنصور جمعت في ديوان»[1]، وليس هذا بالضبط ما ذكره صاحب «وفيات الأعيان».

ومن المؤسف أنّ هذا الديوان ضاع تماماً ولم نعثر له على أثر في كلّ ما فحصنا من فهارس ومراجع، ولم يكن بدّ من الاقتصار على جمع ما بقي من هذا الشعر في كتب الأدب والتاريخ وغيرها، فكان من حصاد التنقيب أنْ وجدنا نصوصاً لابن مجبر في:

بغية الملتمس	للضبي
البيان المغرب (قسم الموحدين)	لابن عذارى
تحفة القادم	لابن الأبار
التكملة لكتاب الصلة	لابن الأبار
الحلل السندسيّة	لشكيب أرسلان[2]
الحلل السندسيّة	للوزير السراج

(١) عصر المرابطين والموحدين ج٢ ص٢٤٤ وأعاد الكلام ص٦٩٥.

(٢) لا يعد من المصادر ولكن الكتاب أول موسوعة أدبيّة تاريخيّة ألفت في العصر الحديث عن الأندلس واعتمد على قدر موفور من المخطوطات والأصول ومن ثم أثبتناه عند المقابلة بين النصوص.

رايات المبرزين	لعلي بن سعيد المغربي
رحلة التجاني	للتجاني
رفع الحجب	للشريف الغرناطي
الروض المعطار	لعبد المنعم الحميري
زاد المسافر	لصفوان بن إدريس
السحر والشعر	للسان الدين بن الخطيب
سير أعلام النبلاء	للذهبي
عنوان المرقصات والمطربات	لعلي بن سعيد المغربي
فوات الوفيات	لابن شاكر
مختارات من الشعر المغربي والأندلسي	(لمجهول)
وفيات الأعيان	لابن خلكان(*)

يضاف إليها مجموعة «سجع الورق» للسخاوي وهي لا تزال مخطوطة، و«عدّة الجليس» لابن بشرى.

وقد ذكرنا هنا هذه الكتب باسمها المختصر، وكذلك بهوامش التحقيق مكتفين بإيرادها في صورتها التامّة وما يتّصل بها (كاسم المحقّق، تاريخ ومكان النشر...) في ثبت المصادر والمراجع.

وحرصنا على ترتيب الشعر بحسب حروف المعجم، وعلى إثبات مصدر أو مصادر كلّ نص، وعلى المقابلة بين القراءات عند تعدّدها، وإيضاح ما يحتاج إلى شرح، وإثبات ما يتصدّر النصوص من عبارات ذات صلة بها، والتزمنا حيال ذلك كلّه بالإيجاز والوضوح والدقّة ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، وآثرنا منهجاً وسطاً في التعليقات بحيث نثبت ما جاء حول النصّ في الأصول، ولكن من غير تطويل ولا دخول فيما لا يعدّ في صميم الموضوع. ونسأل المولى أن يعفو عنا الزلل، وييسّر العسير ويهدينا إلى سواء السبيل...

(*) يعلم الله أننا تريثنا طويلاً قبل أن ندفع بالكتاب للنشر، طمعاً في اكتشاف مواد جديدة، ولم نشأ أن نثقل هذه القائمة بعشرات المجلدات التي فحصت ولم يفض التنقيب فيها لشيء، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، القسم الأندلسي من مسالك الأبصار والوافي بالوفيات، ويلاحظ أن القسم الذي يضم الأعلام على حرف الياء من مخطوطة دار الكتب رقم ١٢١٩ تاريخ تنتقل فيها التراجم فجأة من يزيد بن حميد إلى يعقوب بن الليث دون التوقف أمام أي من الأعلام الذين يحملون اسم يحيى... (والكلام هنا لعنان).



ديـــوان
بحتري الأندلس

حرف الهمزة

[الكامل]

* قـضـى حـقـوقَ الـلّـهِ فـي أعـدائِـه ... ثـم انـثـنـى والـنـصـرُ تـحـت لـوائِـهِ

ثم قال بعد أبيات:

بـحـرُ طـمَـى والـبـأسُ مـن أمـواجِـهِ ... صـبـح بـدا والـحـقُّ مـن أضـوائِـهِ
عـمـدٌ أقـام بـه الـمـهـيـمـنُ حـقَّـه ... والـحـقُّ عـمـدةُ أرضـهِ وسـمـائِـهِ
وأبـاحَـهُ مُـهَـج الـعِـدا فـكـأنّـمـا ... قـد نـصّـلـت أرمـاحُـه بـقـضـائـهِ
أغـزى بـهـم جـيـشاً تـضـيـق الأرضُ عن ... أفـواجِـه والـوهـمُ عـن إحـصـائـهِ
كـالـعـارضِ الـثـجّـاجِ(*) مـلءُ هـوائـه ... لـكـنْ دمُ الأبـطـالِ مـن أنـوائـهِ
لـمـا رأى لـلـشـركِ رسـمـاً مـاثـلاً ... أوهـى قـواه وجـدَّ فـي إقـوائـهِ
أنـحـى عـلـيـه بـالـصـوارم والـقـنـا ... حـتـى إذا لـم يـبـق غـيـرُ ذمـائِـهِ
أبـقـاه والـذعـرِ الـمـخـيـفُ يـبـيـدُه ... فـكـأنّـه سـبـع عـلـى أشـلائـهِ
مـسـتـأصِـلاً شـيـئـاً فـشـيـئـاً أمـرَهـم ... كَـرَّ الـزمـان بـصـبـحِـه ومـسـائـهِ

❁ ❁ ❁

---

* في رفع الحجب، ٢/ ١٥٥ يتصدرها:
«ولما طال على ملوك الروم البلاء، ورأوا ما نزل بهم من الاستئصال لجيوشهم وقواعدهم، واصلوا الرغبة في المهادنة، وأذعنوا إلى السلم، فأجابهم المنصور إليه على شروط كثيرة اشترطها عليهم، وحينئذ أخذ في رجوعه إلى العدوة، رحمة الله عليه، وفي ذلك يقول شاعره أبو بكر بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر».

(*) العارض الثجاج: المطر الشديد الانصباب.

حرف الباء

[الطويل]

* دعا الشوقُ قلبي والركائبَ والرَّكْبا ... فلبّوا جميعاً وَهْو أوّلُ مَنْ لبّى
وظَلْنا نَشاوَى للّذي بقلوبنا ... نخالُ الهوى كأساً ويَحْسَبُنا شرْبا
إذا القُضْبُ هَزَّتها الرِّياحُ تَذَكَّروا ... قُدودَ الحِسانِ البيضِ فاعْتَنَقُوا القُضْبَا

ومنها:

يقولون داوِ القلبَ تسْلُ عن الهوى ... فقلت لَنِعْمَ الرأيُ لو أنَّ لي قلبا

[المتقارب]

** إذا ما الصديقُ نبا وِدُّه ... فلا يكُ وِدُّك بالمنقلِبْ
وعاتِبْه لكنْ رويداً كما ... تعضُّ على الطفلِ عند اللَّعِبْ

[الوافر]

*** وقائلةٍ تقولُ وقَدْ رَأَتْني ... أقاسي الجَذْبَ في المرعَى الخصيبِ
أما عَطَفَ الفقيهُ وأنت تَشْكو ... له شَكْوى العَليلِ إلى الطبيبِ؟
وقد مرَّ الثناءُ بِمِعْطَفَيْه ... كما مَرَّ النسيمُ على القضيبِ
فقلتُ: عليَّ شكرٌ وامتداحٌ ... وليس عليَّ تقليبُ القلوبِ

[الكامل]

**** يا أيها المنصورُ بأسُك رحمةٌ ... فينا وإن قال العِداةُ عذابُ
لِمْ ليس يَغلِبُ كلُّ جيشٍ قدتَه ... ونصيرُه وظهيرُه الغلّابُ

---

* الأول والرابع في سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢١٥، والأول والثاني والثالث في الروض المعطار ص٣٤٣، مادة شلب وخبر استسلامها للملك المنصور، ويضيف: وفي ذلك يقول أبو بكر ابن مجبر قصيدته المشهورة التي أولها.

** في زاد المسافر، ص٥٥.

*** في زاد المسافر ص٥٤ يتصدرها: «وله قطعة يعتب بها».

**** في زاد المسافر ص٥٤.

ولـك الـحـسـامـانِ الـلـذان هـمـا هـمـا — الـسـيـفُ مـاضٍ والـدعـاءُ مـجـابُ

ومنها:

هـل دبّ مـنـهـم فـي حِـمـاكـم دارجٌ — إلّا وصُـبَّ عـلـيـه مـنـك عِـقـابُ؟

أو جـاء مُـسْـتَـرِقًـا إلـيْـكُـمْ مـارد — إلّا وَأَحْـرَقَـهُ هُـنـاكَ شِـهـابُ؟

أو فـارق الـمـغـرورُ مـنـهُـمْ كـهـفَـهُ — يـومـاً فـكـان لـه إلـيـهِ إيـابُ؟

أفـكـلّـمـا طـلـبـوا لـعُـقـر ديـاركـم — سـلـبـاً مـضـوا ونـفـوسُـهـم أسلابُ؟

جـهِـلـوا وظـنّـوا أنَّ عـلـمـا عـنـدهُـمْ — ولـربّـمـا خَـدع الـعـيـونَ سَـرابُ

لَـمْ تُـغْـنِـهِـمْ تـلـكَ الـدواوِيـنُ الـتـي — حَـضَـرَتْ وَهُـمْ عَـنْ فَـهْـمِـهَـا غِـيّـابُ

[الرمل]

* بِـعُـلاكـمْ وَهْـوَ حـسْـبُ الـمُـطـنِـب — عَـرَفَ الـمـشـرقُ فـضـلَ الـمـغـرِبِ

فـسـح الـدهـرُ لـه حـتّـى رأى — سِـيَـرَ ابْـنٍ وأبٍ بَـعْـدَ أبِ

فَـرَعَـاهـا بِـفُـؤادٍ فـطِـنٍ — وتـلاهـا بـلـسـانٍ مـعـربِ

قـد لـعَـمـري أبـصـرَ الـنـوَر الـذي — مـذ بـدَا أعـشـى عـيـونَ الـنُّـوَبِ

ورأى مـا لـم يـكـن يـعـهـدُه — فَـهْـوَ مَـشْـغـولٌ بِـطُـولِ الـعَـجَـبِ

أيّـهـا الـمـنـصـورُ إنّ الـديـنَ قـد — حَـلَّ مِـنْ عـزِّكَ أَعْـلَـى الـرُّتَـبِ

هُـوَ أَمْـرُ الـلَّـهِ فـي أيـديـكُـمُ — فـاجْـذِبـوا الأرضَ بـه تَـنْـجَـذِبِ

رُفِـعَـتْ قُـبَّـتُـه مَـضْـروبـةً — مـا لَـهـا غَـيْـرُكُـمُ مِـنْ طَـنَـبِ

عـارِضٌ أبـدى بُـروقـاً جَـمَّـةً — وَهْـوَ لَـمْ يـأْتِ بـبَـرْقٍ خُـلَّـبِ

يـقـتـضـونَ الـوَعْـدَ بـالـنَّـصْـرِ لَـكُـمْ — وَهْـوَ قـد خُـطَّ لَـكُـمْ فـي الـكُـتُـبِ

---

* في البيان المغرب (قسم الموحدين) ص٢٠٠، يتصدرها:

«ولما وصل المنصور حضرة مراكش وتمهد نزوله، وقفل كل من كان ينتظر قفوله، وتفرغ من كلام القاطنين، ومن تضييف الواردين، واجتمع بالسيد أبي الحسن المستخلف بمراكش ومن كان معه من الموحدين فباحثهم في أحوال أولئك المنافقين، فقر لديه من خبيث أقوالهم وكيفيّة أفعالهم ما أوجب عنده شرعاً سفك دمائهم، بنفاقهم واعتدائهم، فلما أوضح ذلك عند المنصور خاطب عثمان بن عبد العزيز الكومي صاحب قصبة رباط الفتح أن يعفي آثارهم، ويصيرهم في الهالكين، فقدمهما فضرب رقابهما عفا الله عنهما، وقتل في نكبتهما من تحقق اشتراكه في المعصية معهما، وورد الشاعر المحسن أبو بكر بن مجبر في جملة الوافدين للتهنئة بهذا القول السعيد، فقال».

غَـيْـرَ أَنَّ الـسَّـعْـيَ مـحـمـودٌ ولا ... يَـقْـطَـعُ الـسـيـفُ إذا لَـمْ يـضْـرِبِ

مـن يـكـن مـطـلـبُـهُ نَـصْرَ الـهُـدى ... نـال عـنـد الله نـجْـحَ الـمَـطْـلَـبِ

قـد تـلافـى الـلَّـهُ أفـريـقـيـةً ... وَهْـيَ نُـهْـبٌ فـي يَـدَيْ مُـنْـتَـهِـبِ

أنـتُـمْ أحـيـيـتُـمُ الـديـنَ وَقَـدْ ... مـات فـيـا مـوت مَـنْ لَـمْ يَـعْـقِـبِ

أَحْـجَـمَ الأعـداءُ عَـنْـكُـمْ رَهْـبَـةً ... مـن رأى الـمـوتَ عـيـانـاً يَـرْهَـبِ

اهـنَـئِـي يـا حـضـرةَ الـقُـدْسِ فَـقَـدْ ... رُحْـتِ فـي ثـوبِ الـبَـهـاءِ الـمُـعْـجِـبِ

يـا لَـهـا مـن أوْبَـةٍ مَـحْـمُـودةٍ ... سَـقَـتِ الـدَّهْـرَ حـيـاةَ الـطَّـرَبِ

[البسيط]

* مَنْ لَمْ يُؤدِّبهُ تأديبُ الكتابِ فَمَا ... لَـهُ بـغـيـرِ ذُبـابِ الـسـيـفِ تـأديـبُ

إنّ الـخـلافـةَ لا تـشـكـو بـمـعـضـلـةٍ ... والـحـافـظُ الـلَّـهُ والـمـنـصـورُ يـعـقـوبُ

مـشـمِّـر الـبُـردِ لـلـحـربِ الـزَّبـونِ(*) وقـد ... ضـفَـت عـلـيـه مـن الـتـقـوى جـلابـيـبُ

فـالـبـيـضُ مـنـهـنَّ مـسـلـولٌ ومـدَّخـرُ ... والـخـيـلُ مـنـهـنَّ مـركـوبٌ ومـجـنـوبُ

ولـيـس يـظـفـرُ بـالـغـايـات طـالـبُـهـا ... إلّا إذا قُـرِعَـت فـيـهـا الـطـنـابـيـبُ

لـلـحـرب جـلُّ مـسـاعـيـه ومـا تَـرَكَـتْ ... مـنـه الـحـروبُ تـهـادَتْـهُ الـمـحـاريـبُ

إنْ كـانَ عَـرْبَـدَ فـي الأعـداءِ صـارمُـهُ ... فـإنَّـهُ لـرحـيـقِ الـهـام شِـرِّيـبُ

قد حَصْحَصَ(**) الحقُّ إنَّ النصرَ يَتْبَعُهُ ... فـكـان مـن أنـفُـسِ الـكُـفَّـارِ تَـكْـذيـبُ

لَقَدْ عَدَتْهُمْ عَنِ التَّوْفيقِ شِقْوَتُهُمْ ... إن الـشَّـقـيَّ عـلـى الـتـوفـيـقِ مَـغْـلـوبُ

مـا غَـرَّ قَـفْـصَـةَ إلّا أنَّـهـا اجْـتَـرَمَـتْ ... فَـلَـمْ يَـكُـنْ عِـنْـدَ أَهْـلِ الـحُـلْـمِ تَـثْـريـبُ

---

* يرد البيتان العاشر والحادي عشر في الروض المعطار ص٥١٨ مادة ميورقة وبقيّة الأبيات ـ ما عدا ١٣، ١٤، ١٥ ـ في الروض المعطار أيضاً، يسبقها:
«ثم نزل عليها ولده المنصور يعقوب بعد وقيعة عميرة، وذلك سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، فأخذت المحلات بمخنقها وتمادى الحصار والقتال عليها ورماها بأحجار المنجنيق حتى حكم عليها بهدم سورها وحرقها بالنار، وقتل الناس المحكوم عليهم فيها ذبحاً وقطع شجرها وغير بهجتها ونزع الحسن عنها، وفي ذلك يقول أبو بكر بن مجبر من قصيدة له غراء»، وذكر في آخر أنها طويلة والأبيات ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥ في الحلل السندسيّة للسراج ١/ ٣٦٥ وتفردت بإيراد الأبيات الثلاثة الأخيرة.

(*) الزبون: الحرب شديدة البأس.

(**) حصحص: ظهر بعد خفاء.

مـا بـالـهـا زار أمـرُ الله حَـوْزَتَـهـا فَـلَـمْ يَـكُـنْ عـنـدَهـا أهـلٌ وَتَـرْحـيـبُ

تَـوَهَّـمَـتْ أنَّ أهـلَ الـبَـغْـيِ تَـمْـنَـعُـهـا وقَـلَّـمَـا حَـمَـتِ الـشَّـهْـدَ الـيَـعـاسـيـبُ

تـلـك الـبـغِـيُّ الـتـي خـانـت فـحـاق بـهـا وبـالـزنـاةِ بـهـا رجـمٌ وتـعـذيـبُ[1]

قـد فُـضَّ شـمْـلُـهُـم عَـنْـهـا وقـد نـعَـبَـتْ فـيـهـا مـن الـحـيـن غـربـانٌ غـرابـيـبُ[2]

أبَـى يَـردُّ سـلـيـمـاً مـا يُـبـاشِـرُهُ وفـيـه لـلـنـفـسِ تـرغـيـبٌ وتـرهـيـبُ

هـذي أعـادِيـهِ قـد صـارت مُـقَـسَّـمَـةً عـلـى الـبـلايـا فـمـقـتـولٌ ومَـسْـلـوبُ

تـرمـى الـمـجـانـيـقُ بـالأحـجـار فـضـلـة مـن رمـتـهـمُ مـنـهـم الـجـردُ الـسـراحـيـب[*]

مـن كـلِّ مـلـمـومـةٍ صَـمَّـاءَ حـائـمـةٍ عـلـى الـنـفـوس فـتـصـعـيـدٌ وتـصـويـبُ

يـقـول مـبـصِـرُهـا فـي الـجـوِّ صـاعـدةً هـذا بـلاءٌ عـلـى الـكُـفَّـارِ مَـصْـبـوبُ

تَـمَـهَّـدَ الأَمْـرُ فـي أكـنـافِ دولـتِـهِ حتّـى تـآلـف فـيـهـا الـسَّـخْـلُ[**] والـذيـبُ

❁ ❁ ❁

---

(١) الحلل: وتغريب.

(٢) الحلل: غرايب.

(*) السراحيب: من الخيل، العتاق الخفيفة، واحدتها سرحوب. (وهي لفظة عامّية في لبنان تطلق على خفيف الحركة).

(**) السخل: الضعيف المتهاوى.

حرف الحاء

[مجزوء الرجز]

* جـــاء وفـــي يـــســـاره   قـــوسٌ وفـــي الـــيُـــمـــنـــى قـــدحْ
كـــأنّـــه شـــمـــسٌ بَـــدَتْ   وحـــولـــهـــا قـــوسُ قُـــزَحْ
يـــا لائـــمـــي فـــي حـــبِّـــه   مـــا كـــلُّ مَـــن لام نَـــصَـــحْ

[الوافر]

** بـنـفـسـي الـرايـةُ الـبـيـضـاءُ تـهـفـو   بـأنـفـاسـي وأنـفـاسِ الـريـاحِ
تـدلُّ عـلـيـه إذ يَـخْـفَـى ويَـبْـدو   كـخـيـطِ الـفَـجْـرِ دلَّ عـلـى الـصَّـبـاحِ

---

* في نفح ٤/ ١٦١ يتصدرها:
«وحكى أن أبا بكر ابن مجبر قال في ابن لأبي الحسن بن القصان بمحضر والده ـ الأبيات ـ وبعدها:
«فقال ابن عياش الكاتب: هذه أبيات لأندلسي استوطن المشرق في تركي، فأقسم أبو بكر أنه لم يسمع شيئاً من ذلك وإنما ارتجلها. وقيل إنها لأبي الفتح محمد بن عبد الله، من أهل بغداد، وأولها:

جـــد بـــقـــلـــبـــي ومـــزح

ونقل د. محمود علي مكي الخبر والنص في مقدمة تحقيق «نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، ص٢٩، ط. بيروت ١٩٩٠.

** في رايات المبرزين ص١١١، يسبقها:
«أنشدني له والدي عنه في أبي سعيد بن جامع، وزير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، وهو يحمل راية بيضاء، فإذا أضمرته الغيطان طلت على موضعه».
وأبو سعيد بن جامع من الوزراء المشاهير في الدولة الموحديّة، وظل يشغل منصب الوزارة كذلك في عهد الخليفة الناصر (ابن يعقوب) وشارك إلى جانبه في معركة العقاب. راجع عنان: عصر المرابطين ج٢ ص٢٧١ ومواضع أخرى كثيرة.

[البسيط]

* إن الشدائدَ قد تَغْشَى[1] الكريمَ لأَنْ ... تُبِيْنَ فَضْلَ سجاياهُ وتُوضِحَهُ

كمبردِ القينِ(*) إذ يعلو الحديدُ به ... وليس يأكُلُهُ إلّا لِيصْلِحَهُ

۞ ۞ ۞

---

* تكملة الصلة (مخطوطة الأزهر) ١٣٢ ظ يسبقها: «ومن جيده المحفوظ، وهما في ط. كوديراج ٢ ص٧٢٥ ـ ٧٢٦ ترجمة رقم ٢٠٥٥.

وهما نفح ٤/٣٣٦ يتصدرها: «وقال الشاعر الكبير أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن مجبر الفهري. والبيتان في الحلل السندسيّة (أرسلان) ٣/٤٩٨ يتصدرهما:

«ابن مجبر» أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن مجبر الفهري. نشأ بمرسيّة، وتأدب بشيوخها وسكن إشبيليّة، وكان شاعر الأندلس في وقته، بل شاعر المغرب غير مدافع. مدح الأمراء، وكتب لبعضهم وسارت قصائده سير الأمثال... توفي بمراكش ليلة الأضحى سنة ٥٥٨ وقيل قبلها وذكره ابن الأبار».

(١) الحلل: تفشى.

(*) القين: الحداد.

حرف الدال

[المديد]

* قيل لي أودى سعيدُ بن عيسى ... يرحم اللّهُ بن عيسى سعيدا
أَكَلَتْهُ ٱلحَرْبُ شيخاً كبيراً ... وقديماً[1] قد أرضعَتْهُ وليدا

[البسيط]

** بشرايَ هذا لِواءٌ قَلَّ ما عُقِدا ... إلّا ومد لَهُ الروحُ الأمينُ يدا
وأقبل النصرُ لا يعدو مناحيه ... فحيث ما قصدتْ راياتُه[2] قَصَدا
واسْتَقْبَلَتْهُ تباشيرُ الفتوحِ فَقَدْ ... كادت تكونُ على أكتافه[3] لَبَدا
وقَرَّبَ الفَلَكُ الدّوَارُ بُغْيَتَه ... فَلَوْ تَنَاوَلَ بَعْضَ الشُّهْبِ ما بَعُدا
إمام جيشٍ أراد الله نصْرَتَهُ ... فأرسلَ المَلأُ الأَعْلَى لَهُ مَدَدا
إني لَأَحْكُمُ بالنَّصْرِ العزيزِ لَهُ ... وإن سَكَتُّ فَإنَّ الوَحْيَ قَدْ شَهِدا

[البسيط]

*** عَدُوُّكُمْ بخطوبِ الدهرِ مقصودُ ... وأَمْرُكُمْ باتّصالِ النَّصْرِ مَوْعودُ

---

* زاد المسافر ص٥٤، وبغية الملتمس ص٥٠٨ مصدره بـ«يحيى بن مجبر، أبو بكر، أديب شاعر متقدم في طريقة الشعر، برع فيها وفاق أهل زمانه، توفي ليلة عيد الأضحى بمراكش في سنة ثمان وثمانين وخمس مائة. أنشدت من شعره يرثي القائد أبا عثمان بن عيسى.

(١) بغية: وقائما.

وسعيد بن عيسى المذكور هنا كان من أعظم قادة مرسيّة أيام ابن مردنيش الذي جعله على لورقة فلما سقطت مرسيّة في أيدي الموحدين انضم إليهم وأصبح من كبار قادتهم وولاه أبو يعقوب يوسف على حصن منجالة وأراضيه.

** البيان المغرب (قسم الموحدين) ص٢٠٦ يسبقها:

«ثم إن المنصور حقق تمييز الجيوش المسترزقة، ومن افترق من الأعداد الموصلة من بر العدوة أخذوا باقيهم باسم البزكة، وأمر بسوق الرايات وعقدها وخرج من حينه والنصر والسعد محالفان له في حالتي حركته وسكونه، فقال أبو بكر من قصيدة».

والأبيات الثلاثة الأولى في الروض المعطار ص٣٤٣، ووصفت فيه بأنها من قصيدة طويلة.

(٢) البيان: أربابه.

(٣) البيان: أكنافه.

*** في البيان المغرب (قسم الموحدين: ص١٩٣ (الأبيات ١ ـ ٣، ٩ ـ ١٣، ٢١ ـ ٢٤ في =

رأى الشّقَاءَ ابنُ إسحاقٍ أحقّ بِهِ ... من السعادةِ والمحدودُ محدودُ[1]

وكيف يحظَى بدنيا أو بآخرة ... مخلافة[2] عن طريقِ الحقِّ[3] مطرودُ

أعمى ونورُ الهُدَى بادٍ له وكذا ... من لم يساعِدْهُ توفيقٌ وتسديدُ

لم يُصْغِ للوعظِ لا قَلْباً ولا أُذُناً ... وكيف تُصْغِي إلى الوعظِ الجلاميدُ

لجّت ثمُودٌ وعادٌ في ضَلالِهِمُ ... ولم يدعْ صالحٌ نُصْحاً ولا هودُ

والسيفُ أبلغُ فيمن ليس يردعُهُ ... عن الغِوايةِ[4] إبعادٌ وتهديدُ

أَوْلَى لَهُ لَوْ تَراخَى ساعةً لَغَدا[5] ... وريدُهُ وَهْوَ بالخَطِّيِّ مَوْرودُ

أما دَرَى ـ لا دَرَى ـ عُقْبَى عَداوتِكُمْ ... كلٌّ بِحَدِّ حُسامِ الحَقِّ مَحْصُودُ

أَلْقَى السِّلاحَ وَوَلَّى يَبْتَغي أَمَدَا ... يُنْجِيْهِ وَهْوَ مَروُعُ القَلْبِ مَفْؤودُ[6]

ما مرَّ يوماً بِبابِ ظَنِّهِ سَبَبَاً ... إلى التخلّصِ إلّا وَهْوَ مَسْدودُ

وهبْهُ عاش أليس الموتُ أهونَ من ... عيشٍ يخالِطُه همٌّ وتنكيدُ

أنحى الزمانُ على الأعداء[7] واجتهدت ... في قَطْعِ خَضْرائِهِمْ[8] أحداثُهُ السُّودُ

ونازَعَتْهُمْ نُفُوسَ الهندِ أَنْفُسُهُمْ ... فلم يُفِدْهِمْ على الهَيْجاءِ تَغْريدُ[9]

= معرض فتح المنصور لبلاد الجريد، يتصدرها:
وأكثرت الشعراء في هذا الفتح فقال أبو بكر بن مجبر في فتح يوم الحمة الأبيات. في الروض المعطار ص٢٠١ الأبيات ٢ ـ ٨، ١٣، ١٧ يسبقها «وقال هو أو الجراوي في ذلك» أي استيلاء المنصور على قابس.
ومنها في الحلل السندسيّة (للسراج) ج١ ص٣٦٣ الأبيات ٢ ـ ٤، ٧، ٨، ١٣ ـ ١٨ يتصدرها:
ومما قاله هو أبو الجراوي في هذه الوقيعة، وثبتت القصيدة في ديوان الجراوي.
والأبيات نفسها تكررت ـ كما في المصدر السابق ـ في رحلة التجاني ص١٣٨ وجاء فيها اسم الشاعر الآخر: الجواري، وهو تحريف.

(١) كذا في معظم الأصول، وفي الحلل: المحمود محدود. (ولعلها: والمجدود مجدود).
(٢) التجاني: مخلب. البيان: محلاً وأخذنا برواية الحلل.
(٣) الحلل والتجاني: الرشد.
(٤) البيان والحلل: من الغواية.
(٥) التجاني: لغد.
(٦) البيان: مودود.
(٧) البيان والحلل: الأغزاز. التجاني: الأغرار.
(٨) الروض: في قطع دابرهم.
(٩) التجاني: تعريد.

فَهُمْ على التربِ صرعى مثله عَدَدا ... إنْ كان يُقْضَى بأنَّ التُّرَبَ مَغْدُودُ
وَلُّوا فلا صاحبٌ عن نَفس صاحِبِه ... يُغْنِي ولا والدٌ يَرْجُوهُ مَوْلُودُ
يومٌ جديرٌ بتعظيمِ الأنام لَهُ ... فَمَا يقاسُ بِهِ في حسنِه عِيدُ
أَضْحَتْ على فضلِه الأيَّامُ تحسدُهُ ... إنَّ النبيهَ الرفيعَ القَدْرِ مَحْسودُ
أنتم سليمانُ في المُلْكِ العظيم وفي ... طولِ التَّهَجُّدِ في المحرابِ داوودُ
قد أبهج الدينَ والدنيا مقامُكُمُ ... وكُيْفَ لا وَهْوَ عندَ اللَّهِ مَحْمودُ
جارَى مناقِبكُمْ شِعْري فَقَصَّرَ عَنْ ... بلوغِ أدْنَى مَداها وَهْوَ مجهودُ
مَنْ ليس مُعْتَقِداً إيجابَ طاعَتِكُمُ ... فَلَيْسَ يُغْنِيهِ إيمانٌ وتَوْحيدُ
رضاكُمُ الدينُ والدُّنيا وعَدْلُكُمُ ... ظِلٌّ ظليلٌ على الأيّام مَمْدودُ
دُمْتُمْ حَيَاةً مَدَى الدُّنْيا ودامَ لَكُمُ ... نَصْرٌ وفتحٌ وتَمْكينٌ وتأييدُ

[الرمل]

* وُلِدَ العبدُ الذي إنعامُكُمْ ... طينةٌ أُنشِىءَ منها جسدُهْ
وَهْوَ دون اسْمٍ لِعِلْمِي أنَّهُ ... لا يُسَمِّي العَبْدَ إلّا سيدُهْ

۞۞۞

* نفح ٢/ ٢٤١ بتقدمها:
«ومن نظم ابن مجبر أيضاً ما كتب به إلى السلطان ملك المغرب، رحمه الله تعالى، وقد ولد له ابن، أعني لابن مجبر».

حرف الراء

[السريع]

* يا رشأ السِّدرِ ولو أنني ... أنصفتُ ناديتُ رشا الصدرِ

يا قاسيَ القلب ألا عطفةٌ ... تثني إليها رقةَ الخَضْرِ

ما بالُ قلبي مثل عينيك لا ... يفيقُ من همٍ ومن سُكرِ

ولو أراد اللَّهُ رفقاً به ... لم يكحل الأجفانَ بالسحرِ

ملءُ فؤادي زفرةٌ تلتظي ... وملء عيني عَبْرَةٌ تجري

آياتُ داودٍ إذن في يدي ... إن لان لي قلبُ أبي بكْرِ

[البسيط]

** ثاب العزاءُ وحان الأَخْذُ بالثارِ ... قد عاد في غابِهِ الضّرغامةُ الضّاري

إنْ كانَ أَوْرَدَهُ البَأْساءُ مَوْرِدَه ... فقد تداركنا منه بإضرار

أتى ليمحوَ بالحسنى إساءَتَهُ ... كَمَا أَتَى مُذْنِبٌ يُدْلِي بأعذار

وما حلا مِنْهُ صابٌ كانَ جَرّعه ... وإنما شابَ إحلاءَ بإمرارِ

لمّا رَأَيْت انصرافَ القومِ قُلْت لَهُمْ ... يَلقى الرزايا مَنِ اسْتَحْيا مِنَ العارِ

ما ماتَ مَنْ مات والإِقْدامُ يُورِدُهُ ... وإنَّما ماتَ حيًّا كُلُّ فَرَّارِ

قالُوا رِدُوا باقْتِحَام البَحْرِ عَنْ غُرَرٍ ... والموتُ يُدْلي بأنيابٍ وأظفارِ

فَقُلْتُ هَيْهَاتِ مِقْدَارٌ جَرى فَقَضَى ... بما قَضَاهُ ولا رَدٌّ لمِقْدَارِ

إنَّ الحِمَامَ الذي في البَحْر غالَهُمُ ... قدْ غالَ عُثْمَانَ ذا النُّورينِ في الغارِ

نيرانُ حَرْبٍ بموجِ البَحْرِ قَدْ طفِئَتْ ... وَهْيَ الموائدُ بَيْنَ الماءِ والنارِ

كانت رزايا أثارَتْ طِيبَ ذكرُهُمُ ... كالنارِ تلفَحُ في الهِنْديِّ والغارِ

---

* في زاد المسافر ص٥٦.

** في زاد المسافر، ص٥٧ يتصدرها: «وله من قصيدة عند استنقاذ النصارى المظفر من الأسر».

ومنها:

مـا عـزَّ عِـنْـدَ امْـرئٍ مِـقْـدارُ ذي كَـرَمٍ ... إلّا رأى فـيــهِ قِـنْـطـاراً كـديــنـارِ

[الطويل]

* دعِ العينَ تجني الحُبَّ من موقع النَّظَرْ ... وتغرسُ وَرْدَ الحُسْنِ في رَوْضَةِ الخَفَرْ

أمـتـعُـهـا فـيـه فـإنْ تَـكُ لـوعـةٌ ... صَـبـرْتُ وما ذمّ الـعـواقبَ مَنْ صَبَرْ

فُتورُ العيونِ النجلِ يُطلَبُ بالهوى ... وإنْ غَفَلَ التَّفْتِيرُ لَمْ يغْفَلِ الحَوَرْ

وزائـرةٍ والـلـيـلُ مُـلْـقٍ رواقَـهُ ... ومِنْ أيْنَ لِلظَلْماءِ أنْ تَكْتُمَ القَمَرْ؟

حَذَرْتُ نِقابَ الصَّوْنِ عن صفحِ خَدِّها ... فيا حُسْنَ ما انشقَّ الكِمامُ عن الزَّهَرْ

وراوَدْتُـهـا عَـنْ لـثـمِـهِ فَـتَـمَـنَّـعَـتْ ... وما عادةُ الأغْصانِ أنْ تَمْنَعَ الثَّمَرْ

رَشَـا كُـلَّـمـا أَدْمَـتْ جُـفُـونِـيَ خَـدَّهُ ... أشارَ إلى قلبي بعينيهِ فانتصَرْ

يـطـالِـبُـنـي قـلـبـي بـتـقـبـيـلِ ثَـغْـرِهِ ... لقد غاصَ في بَحْرِ الجَمالِ على الدُّرَرْ

[الوافر]

** سأسـتـجـدِي صـغـيـراً مـن كـبـيرٍ ... وأرغـبُ فـي حـصـاةٍ مـن ثـبـيـرِ

وأقـنـعُ بـالـقـلـيـلِ الـنَّـزْرِ مـمّـن ... يـجـودُ ولـيـس يـقـنـعُ بـالـكـثـيـرِ

ألا إنَّ الـنُّـفـوسَ إذا أَحَـبَّـتْ ... أذَلَّتْ في الـخَـطـيرِ وفي الـحَـقـيرِ

ومـن يـرجـو الـمـلـوكَ لـكـلِّ أمـرٍ ... فـلا يَـذَرُ الـحـقـيـرَ مِـنَ الأُمـورِ

ووجـهُ الـعـذرِ فـي الأسـفـارِ بـادٍ ... فـلا أحـتـاجُ فـيـهِ إلـى سـفـورِ

رأيـتُ الـحـبَّـةَ الـبـيـضـاءَ عـزَّتْ ... فـكـيـفَ يـسـيـرُ بِـيْ طـاوِيْ الـمَـصـيرِ

مـتـى أصـغَـى إلـى تـصـهـالِ طِـرفٍ ... يُـجِـبْـهُ بـالـعـويـلِ وبـالـزَّفـيـرِ

وأورِدُه الـمـنـاهـلَ وَهْـيَ زرقٌ ... فـيـصـدُرُ بـي عـن الـمـاءِ الـنـمـيـرِ

وإن أَصـفِـرْ لـيـشـربَ قـالَ مَـهْـلاً ... أصِـفْـرُ الـجـوفِ يـشـرَبُ بـالـصَّـفـيـرِ

أحـسَّ بـوسـقِ أَبْـعِـرةٍ رآهـا ... فـأقـبـلَ يـرتـعِـي بَـعْـرَ الـبَـعـيـرِ

---

* في زاد المسافر ص٥٥.

** زاد المسافر ص٥٣.

وَرامٍ يَسيرُ من طَرَبٍ إليها فقَيَّدَهُ الهُزالُ عنِ المَسيرِ
ورمتُ أخادِعُ الكَيَّالَ فيما لديه فقال لي نَزْرا بزورِ
وأُنشِدُهُ من المَرْوِيِّ طوراً وطوراً من بُنَيَّاتِ الضَّميرِ
وأذكرُ للفرزدقِ ألفَ بيتٍ وأُكْثِرُ في الروايةِ عن جريرِ
فقالَ لِيَ الذَّميمُ إليكَ عَنِّي فليسَ الشِّعرُ يُقْبَلُ في الشَّعيرِ
فلا تُخبِرْ عن الأمم المواضي فإنَّكَ قد سقطتَ على الخبيرِ
أترجو فِطْرَ أهلِ الصَّوْمِ عِندي؟ لقد أصبحْتَ ذار رأيٍ فطيرِ
أإحسانَ الرشيدِ[1] ظنَنْتَ عِندي فأنت تَرومُ تَيْسيرَ العسيرِ
أراكَ شَمَمْتَ رائحةَ الأماني لذلك شِمْتَ بارقةَ السُّرورِ
أميرٌ قد محا ظُلَمَ الليالي وأغرقَ جودُه نُوَبَ الدهورِ
يَمَلُّ الدهرُ من يأسٍ وبأسٍ وليس يمَلُّ من خيرٍ وخِيرِ
تلاعبُ في مواهبِهِ الأماني كأمثالِ السفائِنِ في البحورِ
لَهُ في شِدَّةِ الأَزَماتِ رَوْحٌ كَبَرْدِ الظلِّ في حَرِّ الهَجيرِ
فأحسنُ مَنظَرٍ بِرٌّ جميلٌ يُزَفُّ به إلى عَبْدٍ شكورِ
علمتُ وقد شكرْتُ عُلاكَ أنّي إلى التقصيرِ أُنْسَبُ والقصورِ
جناحِي قُصَّ بالأَزَمَاتِ لكِنْ بوفرِك سَوْف يُصْبِحُ ذا وُفُورِ
ولَوْ قَدْ رِشْتَهُ طارَ انتهاضا فما هو بالمهيضِ ولا الكسيرِ
إذا عبَّرْتُ عن تلك السجايا فقد عبّرتُ عن نَشْرِ العبيرِ
بقيتَ لنا وسمعُك ليس يخلو من استحسانِ مُثْنٍ أو مُشِيرِ

[البسيط]

* هل زِيدتِ الشمسُ للأنوار أنوارا أم عادت الشُّهْبُ في الأفلاكِ أقمارا؟

---

(1) لعل المعنى بالرشيد هنا:
الرشيد أبو حفص عمر بن يوسف بن عبد المؤمن، تدرج في المناصب حتى ولي على شرقي الأندلس، ثم شق عصا الطاعة على أبي يوسف يعقوب، وقتل سنة ٥٨٢هـ.
وراجع التعليق على القصيدة السابقة.

* في المسافر ص٥١، وهي أول ما في الكتاب من شعر ابن مجبر، وصدرها بـ: أبو بكر بن مجبر، =

أم أُعْطِيَ الدهرُ نوراً غير نورِهما ... فإنَّ للَّهِ في المعهودِ أَسْرارا

ليس الضياءُ الذي قد كنتُ أعهدُهُ ... بلْ زاد حتى وجدْتُ الوهمَ قد حارا

ما ذاك إلّا لأمرٍ كلُّه عجبٌ ... قد أعطِيَ الدينُ منه فوق ما اختارا

كرْءُ الأميرِ أبي حفصٍ تداخَلْنا ... سرورُه فرأينا النُّورَ أنوارا

تَبُثُّ يُمناه زهراً في الطروس ولا ... نُكْرٌ على السُّحْبِ أن يُنْبِتْنَ أزهارا

خطٌّ هو السِّحْر لكنَّا نُنَزِّهُهُ ... ونجعلُ القَلَمَ النَّفَّاث سَحَّارا

[الكامل]

* ركبٌ إلى نارِ الجحيم مسيرهُمْ ... وركابهم لا تستطِيعُ مسيرا

الحيُّ منهم لا يُرَى مستوطِنا ... والمَيتُ منهم لا يُرى مقبورا

مما يزيد[1] الأرض طيباً أنها ... لفظتْ عِداتك أبطُناً وظهورا

[الطويل]

** ألا اصْفَحْ عنِ الطِّرْفِ الذي زَلَّ إذ جَرَى ... أيثبتُ طِرْفٌ فوقَهُ النّاسُ والدَّهْرُ

تَداخله كِبْرٌ لَئِنْ كنتَ فوقه ... فتلك لعَمري زلَّةٌ جَرَّها الكِبْرُ

ثَبَتَّ عليه حينَ زَلَّ رجاحةً ... أيخرج عن أثناء هالته البَدْرُ

ولم يدْرِ هل أمسكتَهُ أو رَكَضْتَهُ ... وللعُجْبِ سُكْرٌ ليس يعدِلُهُ سُكْرُ

= من بلش، له من قصيدة «والمرجح أن أبا حفص المذكور هنا هو الأمير السيد أبو حفص شقيق الخليفة المنصور، وقد تولى منصب الحجابة له (وهو منصب يوازي رئاسة الوزارة)».

* في بغية الملتمس ص٥٠٨ وقبلها البيتان الداليان اللذان أولهما:

قيل لي أودى سعيد بن عيسى

ويتصدر المقطوعة:

(١) أصلب الجزيري ومن أخذ من أصحابه بحضرة إشبيليّة وعاينهم قد رفعوا في خشبهم أنشد. البغية، ما يزيد (وأصلحناها بما يناسب الوزن).
وانظر في تفصيلات ثورة الجزيري: محمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين ج٢ ص١٨٠ وراجعه.

** تحفة القادم ص٩١، مسبوقاً بـ: «وله أيضاً، وجاء قبلها بيتان لابن مجبر، في ثانياً ما ورد من أبيات من شعر ابن صاحب الصلاة، والقطعتان قيلتا في مناسبة سقوط ممدوحه عن جواد أو نحو ذلك راجع القطعة رقم ٤١.

لا ذنب للطرف إن زلت قوائمه ... وهضبة الحلم إبراهيم يزجيها

[الكامل]

* أعـلـمْـتَـنِـي أُلْـقِـي عـصـا الـتـسـيـارِ ... فـي بـلـدةٍ لـيـسَـتْ بـذاتِ قـرارِ[1]

ومنها في وصف المقصورة:

طـوراً تـكـونُ بـمـا حـوتـه مـحـيـطـةً ... فـكـأنـهـا سـورٌ مـن الأسـوارِ

وتـكـونُ طـوراً عـنـهُـم مـخـبـوءةً[2] ... فـكـأنـهـا سـرٌّ مـن الأسـرارِ

وكـأنـهـا[3] عـلـمـتْ مـقـاديرَ الـهـوى ... فـتـصـرفـت لَـهُـمُ عـلـى مـقـدارِ

فـإذا أحـسّـتْ بـالإمـامِ[4] يـزورُهـا ... فـي قـومِـه قـامَـتْ إلـى الـزّوارِ

يـبـدو فـتـبـدو ثـمَّ تَـخْـفَـى بـعـدَهُ ... كـتـكـوّنِ الـهـالاتِ[5] لـلأقـمـارِ

---

* في رفع الحجب، ج١ ص٧١ ـ ٧٢ يتصدرها:

«ويتعلق بذكر الهالة ما حكاه أبو عبد الله بن عياش، كاتب المنصور أبي يوسف بن يعقوب قال: كان لأبي بكر بن مجبر وفادة على المنصور في كل سنة، فتصادف في إحدى وفاداته عليه فراغ المنصور من إحداث المقصورة التي كان أحدثها بجامعه المتصلة بقصره في حضرة مراكش، وكانت قد وضعت على حركات هندسيّة ترفع بها لخروجه وتخفض لدخوله، وكان جميع من بباب المنصور يومئذ من الشعراء والأدباء قد نظموا أشعاراً أنشدوها إياه في ذلك، فلم يزيدوا على شكره وتجزيته الخير فيما جدد من معالم الدين وآثاره، ولم يكن فيهم من تصدى إلى وصف الحال حتى قام أبو بكر بن مجبر فأنشده ـ الأبيات.

قصيدته التي أولها: أعلمتني... واستمر فيها حتى ألم بالمقصورة فقال يصفها (الأبيات)..، فطرب المنطور لسماعها، وارتاح لاختراعها والتفت إلى الجراوي وكان يعلم قلة تسليمه لأبي بكر، وكثرة غضبه منه فقال: سلم له يا أحمد! ثم أنشده:

إذا لـم تـسـتـطـع شـيـئـاً فـدعـه ... وجـاوزه إلـى مـا تـسـتـطـيـع!

قال أبو عبد الله: فخرج أبو بكر بن مجبر والشعراء يومئذ يلومونه أن لم يكن أول منشد حتى يخفوا أشعارهم بعده ويخفوا عوارهم، والأبيات ـ ما عدا الأخير ـ في الإحاطة ج٤ ص٤٢١، ونفح ج٣ ص٢٤١، والذي فيهما تلخيص لما في الحجب المستورة، وتأتي أيضاً في السحر والشعر ص١٤٥ يتصدرها: وقول أبي بكر بن مجبر في مقصورة ترفع بآلات مهندسة من تحت الأرض عند إتيان الأمير للصلاة ثم تعاد» وأيضاً في الحلل الموشيّة ص١٤٥ تتصدرها مقدمة طويلة في وصف المقصورة.

(١) رفع الحجب: قراري.

(٢) السحر: محجوبة.

(٣) نفح: وكأنها

(٤) السحر والحلل الموشيّة: أحسنت بالأمير.

(٥) الحلل: فتكون كالهالات.

[البسيط]

* تـراهُ عـيـنـي وكـفّـي لا يـبـاشـرُه — حـتـى كـأنّـي فـي الـمـرآة أبـصـرُهُ

[الطويل]

** قلائدُ فتح[1] كـان يـذخرُها الدَّهْرُ — فـلـمـا أردتَ الـغـزوَ أبْـرَزُهـا الـنَّـصْـرُ
فـهـا هـي مـذ جـدَّتْ ركـابُـك تـنـبـري — سِـراعـاً فَـمِـنْ أفـراحِـهـا الـشَّـفْـعُ والـوَتْـرُ
فـدونَـكَـهـا مـنـسـوقـةً فـلـشـدَّ مـا — تـسـابَـقَ فـيـهـا نـحـوك الـبَـرُّ والـبَـحْـرُ
هـو الـفـتـحُ يـا مـولايَ مـا فـيـهِ مِـرْيـةٌ — ولا لـلّـيـالـي فـي تـعـذّرِهِ عُـذْرُ

ومنها:

أفـي الـصُّـبْـحِ شـكٌّ أنَّـهُ لَـمُـصَـبِّـحٌ — وقـد غـاضـتِ الـظلْـمـاءُ وانـفـجَـرَ الـفَـجْـرُ
أَتَـتْـكَ أسـارَى الـرومِ وَهْـيَ أقـلُّـهـا — فَـمِـنْ فَـضَـلاتِ الـقَـتْـل يـنـتـجِـعُ الأسْـرُ
ومـا كـان قـبـلَ الـيـومِ سـهـلاً مـرَامُـهـا — ولـكـنْ عـلا الإسـلام مـاتّـضَـع الـكـفـرُ
ومـا زلـتَ تـدنـو كـلَّ يـوم مـسـافـة — إلـيـهـم ويـهـوِي فـي نـفـوسـهـمُ الـذعـرُ

ومنها:

لـقـد كـانَ فـي الأحـوال عـسـرٌ فـكـلّـمـا — دنـوتَ اسـتـمـرَّ الـيـسـرُ فـارتـفـعَ الـعُـسْـرُ
لَـعـمـرِي لـقـد سـنّـى بـكَ الـلّـهُ غَـزْوةً — قـدِ افْـتَـرَّ عـن ثَـغْـرِ الـسـرورِ لـهـا الـثَّـغْـرُ

ومنها:

إلـى غـزواتٍ مـن قـريـبٍ تـتـابـعَـتْ — فـفـي كُـلِّ قُـطْـرِ مـن سـحـائِـبـهـا قـطْـرُ
لـقـد أيـقـنَـتْ هـذِي الـجـزيـرةُ أنّـهـا — سـيـجْـبِـرُهـا مـن لا يـهـاضُ لـه جَـبْـرُ
لـئـن كـان مـاتَ الأمْـنُ فـي جـنـبـاتـهـا — فـقـربُ أمـيـرِ الـمـؤمـنـيـنَ لـه نـشـرُ

❁ ❁ ❁

* في عنوان المرقصات والمطربات (ط. الجزائر) ص٤٢، يتصدره: «ابن مجبر، له في المرقص قوله».
** في البيان المغرب (قسم الموحدين) ص٢٠٣ يسبقه:
«وفي سنة ست وثمانين وخمسمائة تحرك المنصور من رباط الفتح في أواخر محرم، وتمادى السير إلى قصر مصمودة، وجدد منها المخاطبات إلى إشبيليّة تتضمن قربه الميمون إليهم، ووفوده في أقرب وقت عليهم، وفي أثناء هذا بدر من بواكر الفتوحات تعكس أجفان الروم، فقتل منهم خلق وأسر آخرون، فهنئ بذلك المنصور، وامتدحه الشعراء، فمنهم ابن مجبر فإنه قال من قصيدة طويلة أولها...».
والبيت الأول في الروض المعطار ص٣٤٢.
(١) البيان المغرب: دلائل فتح.

حرف الفاء

[الرمل]

* ملكٌ تُرويكَ منهُ شيمَةٌ ... أنستِ الظَّمآنَ زُرقَ النُّطَفِ

جمعتْ من كلِّ مجدٍ فحكتْ ... لفظةً قد جُمِعَتْ من أَحْرُفِ

يعجبُ السامِعُ من وصفي لها ... ووراء العجزِ ما لَمْ أَصِفِ

لو أعارَ السهمَ ما في رأيِهِ ... من سدادٍ وهُدًى لم يَصِفِ

حِلْمُهُ الراجحُ ميزانُ الهُدى ... يزن الأشياءَ وزنَ المنصِفِ

[الطويل]

** له حلبةُ[1] الخيلِ العتاقِ كأنَّها ... نشاوى تهادت تطلبُ العَزْفَ[2] والقَصْفا

عرائسُ أغنَتْها الحجولُ عن الحِلى ... فَلَمْ تبْغِ خِلْخالاً ولا الْتَمَسَتْ وَقْفا

فَمِنْ يَقَقٍ كالطِّرْسِ تَحْسَبُ أَنَّهُ ... وإن جرّدوه في مُلاءَتِهِ التَفَّا

وأبلقَ أعطى الليلَ نصفَ إهابِهِ ... وغارَ عليه الصبحُ فاحتبسَ النِّصْفا

وَوَرْدٍ تَغَشَّى جلْدَه شَفَقُ الدُّجى ... فإذ حازَهُ دَلَّى[3] له الذيلَ والعُرْفا

وأشقرَ مجَّ الراحَ صرفاً أديمُهُ ... وأصفرَ لم يمسخ[4] بها جلدَهُ صِرْفا

وأشهبَ فضّيَّ الأديمِ مُدَنَّرِ ... عليهِ خطوطٌ غيرُ مفهومةٍ حرْفا

كما خطَّط[5] الزاهي بمُهْرَق(*) كاتبٍ ... فجَرَّ[6] عليه ذيلَهُ وَهْوَ ما جَفّا

تهبُّ على الأعداءِ منها عواصِفٌ ... ستنسِفُ[7] أرضَ المشركين بها نَسْفا

---

* في نفح ج٣ ص٢٤١.

** في الإحاطة ج٤ ص٤٢٠ يتصدرها:

«من شعره يصف الخيل العتاق، من قصيدة في مدح المنصور» ونفح ج٣ ص٢٣٩.

(١) الإحاطة: خطت.

(٢) الإحاطة: العرف والقصفة.

(٣) الإحاطة: حلى.

(٤) الإحاطة: يسمح.

(٥) الإحاطة: خطر.

(*) المهرق: الصحيفة البيضاء.

(٦) الإحاطة: يحر.

(٧) الإحاطة: تنسف.

تـرى كـلَّ طِـرْفٍ كـالـغـزال فـتـمـتـري أظبياً[1] تـرى تـحت الـعَـجـاجـة أم طِـرْفـا

وقـد كـان فـي الـبَـيْـداء يـألـفُ سِـرْبـهُ فَـرَبَّـتْـهُ مُـهْـرا وَهْـيَ تَـحْـسَـبُـهُ خِـشْـفـا[*]

تـنـاولـه لـفـظُ الـجـوادِ لأَنَّـهُ إذا ما[2] أردت الجَرْيَ أَعْـطـى لَـهُ ضِـعْـفـا

۞ ۞ ۞

(١) الإحاطة: أطيبا.

(*) الخشف: ولد الظبية أول ما يولد.

(٢) الإحاطة: متى ما.

حرف اللام

[السريع]

* لا تـغـبِـط الـمـجـدَب فـي عـلـمـه | وإن رأيـتَ الـخِـضْـبَ فـي حـالِـه
إنَّ الــذي ضـيّــع مــن نـفـسِـه | فــوق الـذي ثـمَّـر مـن مـالِـه

[المديد]

** أتــراهُ يــتــركُ الــغَــزَلا[1] | وعــلــيــه شبَّ واكــتــهــلا
كَـلِـفٌ بـالـغـيـد مـا عـقـلـت[2] | نـفـسُـه الـسـلـوانَ مـذ عـقـلا
غـيـر راضٍ عــن سـجـيّـة مـن | ذاق طـعـمَ الـحـبِّ ثـم سـلا
أيّـهـا الـلُّـوَّام وَيْـحَـكُـمُ | إنَّ لـي عَـنْ لَـوْمِـكُـمْ شُـغُـلا
ثَـقُـلَـتْ عَـنْ لـومِـكُـمْ أُذُنٌ | لَـمْ يَـجِـدْ فـيـهـا الـهَـوَى ثِـقْـلا
تـسـمعُ الـنـجـوى وإن خَـفِـيَـتْ | وَهْـيَ لَـيْـسَـتْ تَـسْـمَـعُ الـعُـذُلا
نَـظَـرَتْ عَـيْـنِـي بِـشَـقْـوَتِـهـا | نَـظَـرَاتٍ وافَـقَـتْ أَجَـلا
غـادةٌ لَـمّـا مَـثَـلْـتُ لَـهـا | تَـرَكَـتْـنِـي فـي الـهَـوَى مَـثَـلا

---

* في تكملة الصلة (مخطوطة الأزهر) ١٣٢ ط، وتأتي بعد القطعة التي أولها:
إن الشدائد قد تغشى الكريم لأن | تبيّن فضل سجاياه وتوضحه
ونفح ج٤ ص٣٣٦ والحلل السندسيّة (شكيب أرسلان) ج٣ ص٤٩٨.

** في وفيات الأعيان ج٧ ص١٣ يتصدرها:
«رجعنا إلى حديث يعقوب:
وكان من شعراء دولته أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر الأندلسي المرسي. ولقد نظرت في ديوانه فوجدت أكثر مدائحه في الأمير يعقوب، فمن ذلك قوله» الأبيات وبعدها:
قلت: وهي قصيدة طويلة، عدد أبياتها مائة وسبعة أبيات، فنقتصر منها على هذا المقدار.
والنص في فوات الوفيات ج٤ ص٢٧٥ ما عدا الأبيات الثلاثة الأخيرة، وفي زاد المسافر ١ ـ ٣، ١٥، ١٦، ٢٤، ٢٦، ٣١، ٣٢ وفي سير أعلام النبلاء: ١ ـ ٣، ٧، ٨، ١٣، ١٩، ٢٢، ٢٥.

(١) سير: العذلا.
(٢) سير وفوات: علقت. زاد: ما التمست.

هِـيَ بَـزَّتْـنِـي الـشـبـابَ فَـقَـدْ ... صـارَ فـي أجـفـانِـهـا كَـحَـلا
أبـطـل الـحـقَّ الـذي يـبْـدي ... سِـحْـر عـيـنـيـهـا ومـا بَـطَـلا
عـرضـت[1] دَلاً فـإذ فـطِـنـت ... بـولـوعـي أعـرضـتْ خَـجَـلا
وبـدا لـي أنَّـهـا وَجَـلَـتْ ... مِـنْ هَـنَـاتٍ تَـبْـعَـثُ الـوَجَـلا
حَـسِـبَـتْ[2] أنّـي سَـأُحْـرِقُـهـا[3] ... إذ رَأَتْ رأسِـي قَـدِ اشْـتَـعَـلا
يـا سُـراةَ الـحَـيِّ مِـثْـلُـكُـمُ ... يَـتَـلافـى الـحـادثَ الـجَـلَـلا
قـد نـزلْـنـا فـي جـواركُـمُ ... فـشـكـرْنـا ذلـك الـنُّـزُلا[4]
ثـمّ واجـهْـنـا ظِـبَـاءَكُـمُ ... فـلـقـيْـنـا الـهَـوْلَ والـوَهَـلا
أَضَـمِـنْـتُـم أمـنَ جـيـرَتِـكُـمْ ... ثُـمَّ مـا آمَـنْـتُـمُ الـسُّـبُـلا
وأردتُـمْ غـصـبَ أنـفـسـهـم ... فَـبَـثَـثْـتُـم بـيـنـهـا الـمُـقَـلا
لـيـتَـنـا خُـضْـنـا الـسُّـيُـوفَ[5] وَلَـمْ ... نَـلْـقَ تـلـك الأَعْـيُـنَ الـنُّـجَـلا
عـارضَـتْـنـا مـنـكُـمُ فـئـةٌ ... أحـدثَـتْ فـي عَـهْـدِنـا دَخَـلا
فُـعَـلـيَّـاتٌ جـفـونـهُـمُ ... وهـمُ لـم يـعـرفـوا ثُـعَـلا
أشـرعُـوا الأعـطـافَ نـاعـمـةً[6] ... حـيـن أشـرعْـنـا الـقَـنَـا الـذّبَـلا
واسـتـفـزتـنـا عـيـونـهُـمُ ... فـخـلـعـنـا الـبِـيـضَ والأَسَـلا
ورمـتْـنـا بـالـسـهـامِ فَـلَـمْ ... نَـر إلّا الـحَـلْـيَ والـحَـلا
نُـصِـروا بـالـحـسـن فـانـتـهـبـوا ... كُـلَّ قـلـبٍ بـالـهـوى جَـذَلا[7]
عـطّـلـتْـنِـي الـغـيـدُ عـن جَـلَـدي ... وأنـا حـلّـيـتُـهـا الـغَـزَلا
حَـمَـلَـتْ نـفـسـي عـلـى فِـتَـنٍ ... سُـمْـتـهـا صَـبْـراً فَـمَـا احْـتَـمَـلا
ثـم قـالَـتْ[8] سـوف نـتـرُكـهـا ... سَـلَـبـاً لِـلْـحُـبِّ أَوْ نَـفَـلا

---

(١) فوات: أعرضت.
(٢) سير: خشيت أني.
(٣) فوات: سأحزنها.
(٤) زاد: قد سكنتم في جوارحنا فحمدنا ذلك النزلا.
(٥) زاد: ورمينا بالسيوف لم. سير: ليتنا نلقى.
(٦) سير: مائة.
(٧) سير وفوات: بالهوى خدلا.
(٨) سير: ثم قالوا.

قُلْتُ أَمَّا وَهْيَ قَدْ عَلِقَتْ[1] بأمير المؤمنين فلا
ما عدا تأمِيلها مَلِكاً مَنْ رآهُ أَدْرَكَ الأَمَلا
أودع الإحسانُ صَفْحَتَهُ ماء بشرٍ ينقعُ الغلَلا
فإذا ما الجُودُ حرّكَهُ فاض من[2] يمناه فانهَمَلا

[الكامل]

* رحل الشبابُ وما سمعتُ بعَبْرَةٍ تجري لمثل فراق ذاك الراحِلِ
قد كنتُ أُزْهَى بالشبابِ ولم أخَلْ أن الشيبةَ كالخضابِ الناصلِ
ظِلٌّ ضَفا لي ثُمَّ زال بسرعةٍ يا ويحَ مُغْتَرٍّ بظلٍّ زائلِ
إن شئتَ ظلاً لا يزول بحالة فاعمدْ إليه ذي الإمامِ العادلِ

[الخفيف]

** إن خيرَ الفتوحِ ما جاء عفواً مثلما يخطبُ الخطيبُ ارْتِجَالا

[السريع]

*** أتى بلا رحبٍ ولا مِكْنَةٍ وقعَ العصافيرِ على السُّنبلِ

---

(١) سير: قلت أو ما هي عالقة.
(٢) زاد: فاض في.
* في الحجب المستورة ج١ ص١٩٩، مسبوقة بـ: وقال الآخر:
شيئان لو بكت الدماء عليهما عيناي حتى تؤذنا بذهاب
لم تبلغا المعشار من حقيهما فقد الشباب وفرقة الأحباب
وإنما نزع الناظم في ذلك منزع أبي بكر بن مجبر في قوله الأبيات.
** في الإحاطة ج٤ ص٤١٨ يسبقها حديث عن ابن مجبر: «ومن أثرته لدى ملوك مراكش أنه أنشد يوسف بن عبد المؤمن يهنئه بفتح من قصيدة: (البيت) ثم:
قالوا: وكان أبو العباس الجراوي الأعمى الشاعر حاضراً، فقطع عليه لحسادة وجدها، فقال: يا سيّدنا اهتدم فيه بيت ابن وضاح:
خير شراب ما كان عفواً كأنه خطبة ارتجال
فبدر المنصور، وهو يومئذ وزير أبيه، وسنه في حدود العشرين من عمره، فقال: إن كان قد اهتدمه فقد استحقه لنقله إياه من معنى خسيس إلى معنى شريف، فسر أبوه لجوابه، وعجب منه والحاضرون في نفح الطيب ج٣ ص٢٣٧ ـ ٢٣٨. وفضلنا قراءة النفح (الخطيب) على قراءة الإحاطة (البليغ) على الرغم من أسبقيّة الإحاطة.
*** في عنوان المرقصات والمطربات ص٤٢، مسبوقة بـ:
«له في المرقص قوله:
تراه عيني وكفي لا يباشره حتى كأني في المرآة أبصره
وقوله...» البيت.

حرف الميم

[الطويل]

* سأشكو إلى الندمان خمرَ زجاجةٍ ... تردّت بثوبِ حالكِ اللونِ أسحَمِ
نَصُبُّ بها شَمْسَ المُدامَةِ بَيْنَنا ... فتغرُبُ في جُنْحٍ من الليلِ مُظْلِمِ
وتَجْحدُ أنوارَ الحُمَيّا بلونِها ... كَقَلْبِ حَسودٍ جاحدٍ يدَ منعِمِ

[البسيط]

** رأى العُداةَ ومنهم من دنا ونأى ... فاستعملَ الماضيين السيفَ والقلَمَا
فلا الذي فَرَّ منهُمْ في البلادِ نَجَا ... ولا الذي جاء يبْغي حربَهُ سَلِما

[الوافر]

*** أسائِلُكُمْ لِمَنْ جيشٌ لَهَامُ ... طلائِعُهُ الملائِكَةُ الكِرامُ

---

* في رايات المبرزين ص١١١، يسبقها:
«وأنشد [والدي] له في زجاجة سوداء فيها خمر أحمر» وفي نفح ج٣ ص٢٠٦ في معرض المباهاة وسرعة بديهة أهل الأندلس، يسبقها:
«وهل منكم من حضر مع عدو له جاحد لما فعله معه من الخير، وأمامهما زجاجة سوداء فيها خمر، فقال له الحسود المذكور: إن كنت شاعراً فقل في هذه، فقال ارتجالاً، وهو ابن مجبر».

** في زاد المسافر، ص٥٣.

*** الأبيات من ١ ـ ٨، و١٢ ـ ١٥، و١٩ ـ ٢١ في البيان المغرب (قسم الموحدين) ص١٩٢ ـ أحداث سنة ٥٨٣ يسبقها:
وفي هذه السنة فتح المنصور بلاد الجريد بأسرها وقضى التطواف فيها قطراً بعد قطر، وما كان على أربابها البلديين القدماء من الإبقاء، واستئصال من كان فيها من شيع الأشقياء، والقبض على الذين بها من الأغزاز، وإسباغ العفو عليهم وتصييرهم من الأجناد، وما تخلل هذه الأحوال من الحوادث الغريبة والاتفاقات البديعة في مدة هذا التطواف والمحاصرة، إلى انقضاء الإياب إلى تونس، وذلك في شوال من العام. وأكثر الشعراء في هذا الفتح.
والأبيات ١، ٩ ـ ١٤، ١٦، ١٨ في الروض المعطار ص٢٠١ (مادة حمة مطماطة) وكذلك الأبيات ٨، ١٣، ١٤، ١٦ (مادة عمرة).
وفي الحلل السندسية (لأرسلان) ج١ ص٣٦٣ البيتان ١٣، ١٤ يسبقهما:

=

أَتَتْ كُتُبُ البشائرِ عَنْهُ تَتْرى كما يتحمَّلُ الزَّهْرَ الكِمَامُ
تَنمُّ ولم تفضّ ولا عجيبٌ أيحجبُ نفحةَ البدْرِ الخِتامُ
كأنَّ النَّضْرَ أضحكَها ثُغورا فللأيام عنهنَّ ابْتِسامُ
ويا للناسِ يرغبُ عن أُناسٍ لهم بالدِّين والدُّنيا قوامُ
أَمامَهُمُ إذا سلكوا سَبيلا كتابُ اللَّهِ يتبعُهُ الإمامُ
يصاحبُهُ فَيَصْحَبُهُ الأماني ويَتْبَعُهُ فَيَتْبَعُهُ الأَنَامُ
هو المَلِكُ الكريم وَمَا أَصَبْنا إذا قُلْنا هو المَلِكُ الهُمَامُ
تجاذب خيلَهُ اليُمْنُ اغتباطاً بعصمته وتَخْطُبُهُ الشَّآمُ
ويعطو المَسْجِدُ الأَقْصَى إليهِ ويشرفُ نحوَهُ البيتُ الحَرامُ

ومنها:

مَضَى مُتَقَلِّداً سيفَيْ مضاءٍ هما الإلهامُ والجيشُ اللّهامُ
فسلْ ما حلَّ بالأعداءِ منهُ وكيفَ استُؤْصِلَ الداءُ العُقامُ
لقد برزتْ إلى هولِ[1] المنايا وجوهٌ كان يحجبُها[2] اللثامُ
وما أغنت قِسِيُّ الغُزِّ عَنْها فليسَتْ تدفَعُ القدْرَ السِّهامُ
غَدَوْا فوق الجيادِ وَهُمْ شُخُوصٌ وَأَمْسَوا بالصعيد وَهُمْ رِمامُ
كأنَّ الحربَ كانتْ ذاتَ عقلٍ صحيح لَمْ يحلَّ بِهِ السِّقامُ
فَأَفْنَتْ كلَّ مَنْ دمُهُ حلالٌ وَأَبْقَتْ كُلَّ مَنْ دمُهُ حَرَامُ
متى يكُ مِنْ ذوي الكُفْرِ اعتداءُ يكن مِن فرقةِ التَّقْوى انْتِقَامُ
هو الأمرُ الرَّضِيْ طوبَى لِنَفْسٍ يكون لها بعصمتِهِ اعْتِصَامُ
حياةُ الدين دولتُهُ فدامَتْ لأمرٍ قد أتيحَ لَهُ الدّوامُ
سلامُ اللَّهِ من قرب وبعدٍ عليهِ وحبّ مَنْ نَزَلَ السلامُ

❁ ❁ ❁

= «وانصرف المنصور إلى قابس فأحاط بها براً وجواً (!) إلى أن فتحوا له أبوابها مستسلمين، وفي ذلك يقول أبو بكر بن مجبر من قصيدة طويلة:
والبيتان ١٣، ١٤ في رحلة التجاني، ص١٣٧.

(١) البيان: هون.
(٢) التجاني: كان حجبها.

حرف النون

[الكامل]

* جلّ الأسى فأسِلْ دم الأجفانِ ماذا الشؤونُ لغير هذا الشانِ

[الكامل]

** أشكو لذي الإحسانِ عبدِ المُحْسِنِ فلعلَّهُ يُرْثي لِمَا قَدْ مَسَّنِي
إني شُغِفْتُ بدَلِّه ودلالِهِ وبِحُسْنِ منظرِهِ وإنْ لَمْ يُحْسِنِ
ظبيٌ غريرُ الحُسْنِ طُرِّزَ خدُّهُ بالجلَّنار وغضَّ نَوْرَ السوسنِ
ريمٌ حَوَى ظَرْفاً وحُسْناً جامِعاً نَطَقَتْ بما يَحْوي جَمِيعُ الألْسُنِ
فعساه يَرْحَمُ لَوْعَتي وصَبَابَتي ويسيرُ بالإحْسانِ عبدُ المُحْسِنِ

[البسيط]

*** ليت الشبابَ الذي ولت نضارتُهُ أعطانِي الحِلمَ فيما كان أعطاني

---

* وفيات ج٧ ص١٣٣ يتصدرها: ولما مات أبو يعقوب المذكور [يوسف بن عبد المؤمن، ملك الموحدين] رثاه الأديب أبو بكر يحيى بن مجبر. . . بقصيدة طويلة أجاد فيها، وأولها.
وهو في نفح ج٤ ص٣٨٠ يتصدرها: «ولما مات يوسف قام بالأمر بعده ابنه الشهير أمير المؤمنين يعقوب المنصور. . . فقام بالأمر أحسن قيام، ولما مات يوسف المذكور رثاه أديب الأندلس أبو بكر يحيى بن مجبر بقصيدة طويلة أجاد فيها، وأولها. . ».

** في مختارات. . . لم يسبق نشرها، ص٢٣٦، ضمن المقامة الحسنيّة ـ في الحسن بن علي بن عبد الله الأنصاري المعروف بابن أبي خرص، وهذه «المقامة» مجموعة قطع لشعراء مختلفين (أبي عمرو بن سالم، أبي الحسين بن زعرور، ابن محمد البرجي، أبي العباس المورويّ، أبي عبد الله الشلبي، أبي جابر أحمد القيار، أبي عبد الله الشلبي، أبي جعفر أحمد القيار، أبي بكر بن مجبر، أبي عبد الله بن راشد، صالح بن جابر، أبي محمد الباهلي، أبي جعفر أحمد بن موسى، أبي الحسن الحضرمي، أبي عبد الله الجوفي (انظر النص من ص ٢٣٢ ـ ٢٤١) ورجح المحقق أن تكون منقولة عن أدباء مالقة لابن خميس حيث تأتي المقامة كاملة فيه.
أما عبد المحسن المذكور في أبيات ابن مجبر فيصفه ابن خميس بأنه كان «من طلبة مالقة وأدبائها، نبيلاً ذكياً فطناً لوذعياً، وكان جميل الصورة، ولأدباء مالقة فيه أشعار».

*** في زاد المسافر ص٥٥.

فـلـم تـكـنْ مِـنَـةٌ لـلـشـيـبِ أحـمـلُـهـا   ولـم يـكـن مِـنْ سـروري بَـغـضُ أَخـزَانـي

[الطويل]

* وأغـيـدَ مـن أبـنـاءِ لـحـظـةَ شـادنٍ   يـنـوُء كـمـا يَـغـطـو بـخُـوطَـتـه الـبـانُ
وَدابـتُـه مـهـراقـةٌ خـلـف ظـهـرِه   كـمـا الـتَـفَّ بـالـغُـصْـنِ الـمُـنَـعَّـمِ ثُـعْـبَـانُ

[الوافر]

** وبِـكـرٍ مـن بـنـات الـدَّوحِ حُـبْـلـى   مـلأتُ يـدي بـهـا ومـلأتُ عَـيْـنـي[1]
مَـتَـى تَـفْـتَـضَّـهَـا[2] وَلَـدَتْ ولـكـنْ   بـكـيِّ الـنـارِ أو كـدِّ الـيـديـنِ
لـهـا فـي كـلِّ جـارحـةٍ جـنـيـنٌ   وأكـثـرُ مـا تـجـيْءُ بـتـوأمـيـن

۞ ۞ ۞

---

* السحر والشعر ص٦٠.

** في السحر والشعر ص١٣٥، يتصدرها: «وقول أبي بكرين مجبر في صنوبرة.

(١) في الأصل: عين.

(٢) الأصل: متى تقتضها.

حرف الياء

[البسيط]

* لا ذَنْبَ لِلْطِّرْفِ(*) إنْ زَلَّتْ قوائِمُهُ وَهَضْبَةُ الحُلْمِ إبراهيمُ يُزْجِيها
وكيف يحمله طِرْفٌ وخَرْدَلَةٌ من حِلمِهِ تَزِنُ الدُّنيا وما فيها

[المتقارب]

** ألا مقت اللَّهُ سعَى الحريص فما جازه الذمُّ إلّا إليهِ
يُسَرُّ بما في يدي غيره وينسى السرورَ بما في يديهِ

---

* تحفة القادم ص٩١، في ثنايا ما أورد من منتخبات لابن صاحب الصلاة، مسبوقة بأبيات لابن صاحب الصلاة في ابن سعد وقد كبت به بغلة، أولها:

إن تكب في السير بنت اليعر بالملك فليس يدركها في ذاك من درك

وهذا المعنى مأخوذ من قول ابن المعتز في رئيس سقط عن بغل:

لا ذنب عند لابن العير يوم وهت قواه من خور فيها ومن لين

أول أبيات ابن المعتز بـ: «وللشعراء في هذا أبيات نادرة، وهو من تحسين القبيح، منها قول بكر ابن مجبر».

(*) الطرف: الكريم من الخيل.

** في زاد المسافر ص٥٥.





موشّحة
تنشر لأوّل مرّة

موشّحة
تنشر لأوّل مرّة

[مخلع البسيط]

* يا قلبُ ما للهوى ومالكْ   وما لِمَنْ لامني ومالي

أسرفتَ يا قلبُ في هواكا

فاجنحْ إلى سلوة صباكا

تنال من أسره فكاكا

وأنت يا عاذلي[1] كفاكا

لو أن حالي يكونُ حالك   علمتَ ما حمّل احتمالي

يا من أحال البِعادُ عهدَه

فزدت ليناً إذ زدت شدة[2]

أما كفاك أن صرت عبده

وسرت عنه والقلبُ عنده

يا ناكثَ العهدِ ما أحالَك   إلّا بعادٌ أحالَ حالي

يا ظبيُ ما راعني وراعك

إلّا هوى سبب امتناعَك

والقلبُ يأبى إلّا اتباعك

فقد عصاني وقد أطاعك

يكفيك يكفيكَ أنْ صفا لك   بالودِّ قلبي وما صفا لي

---

* في سجع الورق ورقة ١٣٨ظ.

(١) في الأصل: يا عادلي.

(٢) في الأصل: فردت ليناً إذ ردت رشده.

سحرٌ بعينيك[1] يا محمدْ
ارْعَ ذماما[2] لنا تأكدْ
وعُدْ إليه والعَودُ أحمدْ
فإن للمرءِ ما تعود
وكنتَ عوّدتني وصالَكْ   فعُدْ إلى ذلك الوصالِ
ما ضرّ أنْ لو لثمتُ فاهْ
مَنْ سامني الخسف في هواهْ
فقلتُ كيلا أعدو رضاهُ
علّ حبيبي وقعْ ببالك   أنِّ بغيركْ شغلت بالي

---

(١) في الأصل: بعيّنك.
(٢) في الأصل: دماما.
وهذه الموشحة كتبت على غرار موشحة الأعمى التطيلي التي تبدأ بـ:
يا نازح الدار سل خيالك   ينبيك أن صرت كالخيال
وتأتي في توشيع التوشيح للصفدي ص١١٢.
والدور الأخير والخرجة عند التطيلي:
لما اجتليت الزمان قربه
ضمّن بعض الحديث عتبه
إذ ظن أنى سلوت حبه
غنيته أستميل قلبه
علك حبيبي خطر ببالك   أنى بغيرك شغلت بالي
أما موشحة ابن مجبر فإنها لا ترد ـ فيما نعلم ـ في كل المجاميع المطبوعة.



المصادر والمراجع

بعض المصادر والمراجع

١ ـ المصادر

ـ **ابن الأبار**: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق. د. إحسان عباس، بيروت ١٩٨٦.

ـ **ابن الأبار**: الحلة السيراء، تحقيق د. حسين مؤنس، القاهرة ١٩٦٣.

ـ **ابن الأثير**: الكامل في التاريخ، مصورة من ط. القاهرة.

ـ **ابن بسام (الشنتريني)**: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق د. إحسان عباس. بيروت.

ـ **ابن بشرى**: عدة الجليس ومؤانسة الوزير والرئيس، تحقيق د. ألان جونس، أكسفورد.

ـ **ابن بشكوال**: كتاب الصلة، ط. القاهرة ١٩٦٦.

ـ **ابن تومرت**: كتاب محمد بن تومرت، أو كتاب أعز ما يطلب، الجزائر ١٩٠٣.

ـ **ابن خاتمة**: ديوان، تحقيق د. محمد رضوان الداية، بيروت ١٩٧٢.

ـ **ابن خاقان (الفتح)**: قلائد العقيان في محاسن الأعيان، ط. تونس ١٩٦٦.

ـ **ابن خاقان (الفتح)**: مطمح الأنفس، ط. محمد علي شوابكة.

ـ **ابن الخطيب (لسان الدين)**: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة ١٩٧٣.

ـ **ابن الخطيب (أعمال الأعلام)**: (تاريخ إسبانيا الإسلاميّة)، تحقيق د. بروفنسال، بيروت ١٩٥٦.

ـ **ابن الخطيب (لسان الدين)**: جيش التوشيح، تحقيق هلال ناجي ومحمد ماضور، تونس ١٩٦٧.

ـ **ابن الخطيب (لسان الدين)**: ريحانة الكتاب، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة ١٩٨١.

- **ابن الخطيب (لسان الدين)**: نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق د. أحمد مختار العبادي، القاهرة، لات.

- **ابن الخطيب (لسان الدين)**: معيار الاختيار، تحقيق محمد كمال شبانة ط. المغرب ١٩٧٦. (وراجع النص في مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، نشر د. أحمد مختار العبادي، الإسكندريّة ١٩٨٣).

- **ابن الخطيب (لسان الدين)**: السحر والشعر، تحقيق فيرير، مدريد ١٩٨١.

- **ابن خفاجة**: ديوان، تحقيق د. سيد مصطفى غازي، الإسكندريّة.

- **ابن خفاجة**: ديوان، تحقيق د. يوسف فرحات، دار الجيل، بيروت ١٩٩١.

- **ابن خلدون**: المقدمة(ط. علي عبد الواحد وافي)، القاهرة.

- **ابن خلدون**: التاريخ: العبر وديوان المبتدأ والخبر، مصورة عن ط. بولاق بالقاهرة.

- **ابن خلكان**: وفيات الأعيان ط. إحسان عباس، بيروت ١٩٦٨ ط. القاهرة، نشر محمد محيي الدين عبد الحميد.

- **ابن دحية**: المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الإبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، القاهرة ١٩٥٤.

- **ابن دراج القسطلي**: ديوان، تحقيق د. محمود علي مكي، دمشق.

- **ابن الزقاق البلنسي**: ديوان، ط. عفيفة دويراني، بيروت ١٩٦٥.

- **ابن زيدون**: ديوان، ط. علي عبد العظيم، القاهرة ١٩٥٧.

- **ابن سعيد المغربي**: رايات المبرزين وغايات المميّزين، تحقيق د. النعمان عبد المتعال القاضي، القاهرة ١٩٧٣.

- **ابن سعيد المغربي**: عنوان المرقصات والمطربات، ط. الجزائر.

- **ابن سعيد المغربي**: المغرب في حلي المغرب، قسم الأندلس، تحقيق د. شوقي ضيف، القاهرة ١٩٦٤.

- **ابن سعيد المغربي**: المغرب، القسم الصقلي، تحقيق د. محمد زكريا عناني، الإسكندريّة ١٩٨٦.

- **ابن سعيد المغربي**: المقتطف من أزاهر الطرف، تحقيق د. سيد حنفي، القاهرة.

- **ابن سناء الملك**: دار الطراز، تحقيق د. جودت الركابي، دمشق ١٩٤٩.
- **ابن سهل الإشبيلي**: ديوان، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت.
- **ابن شاكر الكتبي**: فوات الوفيات، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت ١٩٧٣.
- **ابن صاحب الصلاة**: المن بالإمامة.
- **ابن العماد الحنبلي**: شذرات الذهب، مصورة عن ط. القاهرة.
- **ابن القطان**: نظم الجمان، تحقيق د. محمود علي مكي، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٩٠.
- **ابن هانئ الأندلسي**: ديوان، تحقيق د. زاهد علي، القاهرة.
- **أبو بكر الصنهاجي**: انظر: البيذق.
- **الأصفهاني (عماد الدين)**: خريدة القصر وجريدة العصر، قسم المغرب والأندلس، تحقيق عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم، القاهرة.
- **أمرابط (محمد)**: الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان (نشر منسوباً لأبي مدين شعيب)، تحقيق د. عبد الحميد حاجيات، الجزائر ١٩٧٤.
- **البغدادي (إسماعيل باشا)**: الذيل على كشف الظنون: هديّة العارفين.
- **البيذق (أبو بكر الصنهاجي)**: أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين. نشر ل. بروفنسال، باريس ١٩٢٨.
- **التجاني (أبو محمد عبد الله)**: رحلة التجاني، قدم لها حسن حسني عبد الوهاب، تونس ١٩٥٨.
- **التجيبي (صفوان بن إدريس)**: زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، بيروت ١٩٨٠.
- **التطيلي (أبو جعفر أحمد الجراوي)**: ديوان، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت الحماسة المغربيّة، تحقيق د. رضوان الداية، بيروت ـ دمشق ١٩٩١.
- **الجزار السرقسطي (أبو بكر يحيى بن محمد)**: ديوان: روضة المحاسن وعمدة المحاسن، تحقيق د. منجد مصطفى بهجت، بغداد ١٩٨٨.
- **حاجي خليفة**: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ط. طهران ١٣٨٧هـ.
- **الحلي (صفيّ الدين)**: العاطل الحالي والمرخص الغالي، نشر هونرباخ، ويسبادن ١٩٥٥.

- **الحميري (عبد المنعم)**: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت ١٩٨٠.
- **الحايك**: الكناش، ط. المغرب المصورة.
- **الذهبي**: سير أعلام النبلاء، تحقيق د. بشار عواد معروف ود. محيي الدين السرحان، بيروت ١٩٨٤.
- **الذهبي**: العبر في خبر من غبر، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، الكويت ١٩٦٣.
- **الزركشي**: تاريخ الدولتين الموحّديّة والحفصيّة، تونس ١٢٨٩هـ.
- **السراج (الوزير محمد بن محمد، الأندلسي)**: الحلل السندسيّة في الأخبار التونسيّة، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، بيروت ١٩٨٥.
- **الششتري: (أبو الحسن)**: ديوان، تحقيق د. علي سامي النشار، الإسكندريّة ١٩٦٠.
- **الصفدي (صلاح الدين)**: الوافي بالوفيات، الأجزاء المطبوعة، بتحقيق ريتر وآخرين، ط. بيروت.
- **الصفدي (صلاح الدين)**: توشيع التوشيح ط. ألبير حبيب مطلق، بيروت.
- **صفي الدين الحلي**: انظر الحلي.
- **صفوان بن إدريس التجيبي**: انظر التجيبي.
- **الضبي (ابن عميرة)**: بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، القاهرة ١٩٦٧.
- **الغبريني**: عنوان الدراية في علماء بجاية، تحقيق عادل نويهض، بيروت ١٩٦٩.
- **الغرناطي (الشريف)**: رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة، القاهرة ١٣٤٤هـ.
- **مجهول**: مختارات من الشعر المغربي والأندلسي، تحقيق إبراهيم بن مراد، بيروت ١٩٨٦.
- **مجهول**: العذارى المائسات في الأزجال والموشّحات، ط. فيليب فعدان الخازن، جونية ١٩٠٢، وطبعة د. محمد زكريا عناني، الإسكندريّة.
- **مجموع رسائل موحّدية**: نشر ل. بروفنسال، الرباط ١٩٤١.

- **المراكش (ابن عذارى)**: البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب (قسم الموحّدين)، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت، ومحمد زنيبر وعبد القادر رزنامة، بيروت ١٩٨٥.
- **المراكشي (عبد الواحد)**: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، القاهرة ١٣٣٢هـ.
- **المقري**: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت، وطبعة محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة.
- **المقري**: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا، والإبياري وشلبي، القاهرة ١٩٣٩ ـ ١٩٤٢، والأجزاء المطبوعة بالمغرب.
- **النواجي (شمس الدين)**: عقود اللآل في الموشّحات والأزجال، ط. بغداد.
- **النويري**: نهاية الأرب في فنون الأدب، ط. دار الكتب المصريّة.
- **ياقوت الحموي**: معجم الأدباء (إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب)، ط. دار المأمون بالقاهرة.
- **ياقوت الحموي**: معجم البلدان، ط. بيروت.

٢ ـ المراجع

- **أرسلان (شكيب)**: الحلل السندسيّة في الأخبار والآثار الأندلسيّة، مصوّرة عن طبعة القاهرة ١٩٣٩.
- **الأهواني (د. عبد العزيز)**: ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر، القاهرة.
- **الأهواني (د. عبد العزيز)**: الزجل في الأندلس، القاهرة.
- **الأوسي (د. حكمت)**: الشعر في عصر الموحدين، القاهرة.
- **الجراري (د. عباس)**: موشّحات مغربيّة، الدار البيضاء ١٩٧٣.
- **الجراري (د. عباس)**: القصيدة (الزجل في المغرب)، الرباط ١٩٧٠.
- **الرقب (شفيق محمد)**: شعر الجهاد في عصر الموحّدين، عمان ١٩٨٤.
- **الركابي (د. جودت)**: في الأدب الأندلسي، القاهرة.
- **الريسوني (محمد المنتصر)**: الشعر النسوي في الأندلس، بيروت ١٩٧٨.

- **الرزقي (الصادق)**: الأغاني التونسيّة، تونس ١٩٦٧.
- **الزركلي (خير الدين)**: الأعلام، الطبعة الخامسة، بيروت ١٩٧٩.
- **الشكعة (د. مصطفى)**: الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه، بيروت ١٩٧٤.
- **ضيف (د. شوقي)**: تاريخ الأدب العربي: الأدب الأندلسي، القاهرة.
- **الطنجي (محمد تاويت) وعفيفي (د. محمد الصادق)**: الأدب المغربي، القاهرة ١٩٥٥.
- **عباس (د. إحسان)**: تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، بيروت.
- **عتيق (د. عبد العزيز)**: تاريخ الأدب الأندلسي، بيروت.
- **عنان (محمد عبد الله)**: عصر المرابطين والموحّدين، القاهرة.
- **عناني (د. محمد زكريا)**: الموشّحات الأندلسيّة، الكويت ١٩٨٠.
- **عناني (د. محمد زكريا)**: مدخل لدراسة الموشّحات والأزجال، الإسكندريّة ١٩٨٢.
- **عناني (د. محمد زكريا)**: قراءات نقديّة في المكتبة العربيّة، الإسكندريّة ١٩٨٢.
- **عناني (د. محمد زكريا)**: دراسات في الشعر الأندلسي والوسيط، الإسكندريّة ١٩٨٥.
- **عناني (د. محمد زكريا)**: النصوص الصقلية، الإسكندريّة ١٩٨٢.
- **عناني (د. محمد زكريا)**: ديوان الموشّحات الأندلسيّة، الإسكندريّة ١٩٨٢.
- **عيسى (د. فوزي)**: الشعر في عصر الموحدين، الإسكندريّة.
- **عيسى (د. فوزي)**: ابن زهر، الإسكندريّة.
- **غازي (د. سيد مصطفى غازي)**: ديوان الموشّحات الأندلسيّة، الإسكندريّة ١٩٧٩.
- **غازي (د. سيد مصطفى غازي)**: في أصول التوشيح، الإسكندريّة ١٩٧٦.
- **غومس (إيميليو جارسيا)**: مع شعراء الأندلس والمتنبي، ترجمة د. الطاهر أحمد مكي، القاهرة ١٩٧٤.
- **غومس (إيميليو جارسيا)**: الشعر الأندلسي، ترجمة د. حسين مؤنس، القاهرة ١٩٦٩.

- **فروخ (د. عمر)**: تاريخ الأدب العربي، بيروت.
- **كحالة (عمر رضا)**: معجم المؤلفين، بيروت.
- **كراتشكوفسكي**: الشعر العربي في الأندلس، القاهرة ١٩٧١.
- **كنون (عبد الله)**: النبوغ العربي في الأدب العربي، بيروت ١٩٧٥.
- **الكريم (د. مصطفى عوض)**: فن التوشيح، بيروت ١٩٥٩.
- **كيلاني (كامل)**: نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي، القاهرة ١٩٢٤.
- **مؤنس (د. حسين)**: رحلة الأندلس، ط. الدار السعوديّة بجدة.
- **هيكل (د. أحمد)**: الأدب الأندلسي، الطبعة التاسعة، القاهرة ١٩٨٥.
- **يافيل**: مجموع الأغاني من كلام أهل الأندلس، الجزائر ١٩٠٤.
- **يلس (جلول) والحفناوي القران**: الموشّحات والأزجال، الجزائر ١٩٧٢.



الفهرست

فهرس المحتويات



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com